التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 187 السنة 21 - يونيو 2023

الميزانية الجديدة:

ديون تتفاقم ووضع معيشي ضاغط

صاحب السعادة المواطن

15-14

حريّة الصحافة في بلاد العرب

18

رسائل مارسيل بروست

35-34

موقفنا

الهمّ المعيشي للمواطن

في خضم السجال الدائر حول مشروع الميزانية الجديدة المقترحة من الحكومة، والتي جرت وتجري مناقشتها في جلسات متتالية بين الحكومة والنوّاب، يبرز الهمّ المعيشي للمواطنين، خاصة ذوي الدخل المحدود منهم، في مقدّمة الألولويات قيد المناقشة، بالنظر إلى تفاقم معاناة هؤلاء المواطنين، خاصة في السنوات الأخيرة، بسبب ارتفاع الأسعار، نظرًا لتزايد نسبة التضخم والوضع الاقتصادي الدولي المعقد، والذي أدت إليه عوامل متتالية من أبرزها جائحة «كورونا» ومن بعدها اندلاع الحرب في أوكرانيا، وتبعات ذلك دوليًا.

فيما رواتب المواطنين، في القطاعين الحكوميّ والخاص على حد سواء،، ثابتة على ما هي عليه، دون الأخذ بالاعتِّبار هذه العوامل، بل أنه جرى استهداف فئة المتقاعدين الذين أفنوا أجمل وأطول سنوات أعمارهم في العمل من أجل خدمة وطنهم، بإلغاء العلاوة السنويّة بنسبة 3٪، فيما الكثير منهم مازالوا معيلين لعوائلهم، خاصة بعد تشجيع التقاعد المبكر من الوظائف الحكوميّة، وكذلك تزايد نسبة البطالة في صفوف الشباب، بمن فيهم خريجي الجامعات وحملة الشهادات العليا، ما يجعل عبء معيشتهم على كاهل آبائهم وأمهاتهم بمن فيهم من أصبحوا متقاعدين.

لقد طُرحت في الفترة الأخيرة، على خلفية مناقشة الميزانية، الكثير من الرؤى والأفكار من قبل النوّاب، وفي مقدمتهم نوّاب كتلة «تقدّم» التي تقدّمت بمرئيات متكاملة وشاملة، تجدون نصها منشورًا ضمن مواد هذا العدد، كما عبّر المنبر التقدمي وجمعيات سياسيّة أخرى، عن تصوراتها حول مشروع الميزانية الذي يعاني من ثغرات كبيرة، وتقدّمت بمقترحات لتطوير هذا المشروع وسدّ هذه الثغرات، وفي مقدّمتها اصرار الحكومة على احتساب سعر برميل النفط، الذي هو المدخول الأساسي لميزانية البلد، بسعر ستين دولار، فيما تشير أسواق النفط إلى أنه بلغ أكثر من ثمانين دولار، دون أن توضح الحكومة إلى أين سيذهب الفائض في أسعار النفط الذي لن يحتسب في الميزانية.

ويأتي كل ذلك مع استمرار نسبة ضريبة القيمة المضافة بـ 10٪ ، ما أدى ويؤدي إلى زيادة الأعباء المعيشيّة على المواطنين، رغم المطالبات الشعبية والبرلمانية بإعادة النظر في النظام الضريبي المتبع، بتخفيف العبء عن الناس، خاصة الطبقات الفقيرة منهم، وتحميل الشركات نسبة ضريبة على أرباحها، وهو النظام المعمول به حتى في دول خليجيّة شقيقة، هي في أوضاع اقتصاديّة أفضل بكثير من أوضاع البحرين، خاصة مع المخاطر المحدقة بشبكة الحماية الاجتماعيّة بالتمادي في السياسات النيوليبراليّة الفاشلة، وتدابير الخصخصة في مجالات حيويّة كالصحة والتعليم، وسواهما، الموجهة من المؤسسات الماليّة العالميّة وفي مقدمتها البنك الدوليّ وصندوق النقد الدوليّ.

التقدمي

التقدمي: تحويل التأشيرات السياحية لتأشيرات عمل خطأ فادح

أكّد المنبر التقدمي عبر مكتبه السياسي على ضرورة مواجهة التحديات والمصاعب التي تواجه عمال البحرين والحركة النقابية، كما دعا إلى معالجات سريعة ومدروسة لمشكلة البطالة والتشوهات المتفاقمة التي يزخر بها سوق العمل، رافضًا بشدة الأرقام والبيانات الوهمية التي ليس لها أساس على أرض الواقع والتي دأبت وزارة العمل على الإعلان عنها والمتصلة بأعداد تشغيل البحرينيين والمنافسة غير العادلة للمواطنين في سوق العمل.

وقال التقدمي بأن ما أعلن مؤخرًا من تحويل عشرات الآلاف من التأشيرات السياحية إلى تأشيرات عمل خطأ فادح يؤكد على حالة التخبط وسوء إدارة ملف البطالة ومسؤولية توفير العمل اللائق للمواطنين وإزالة التشوهات التي يعاني منها بحدة سوق العمل.

ومن جهة أخرى، أكّد المكتب السياسي على أهمية تقييم حالة حرية الصحافة والتعبير وضرورة الاحترام الالتزام بهذه الحرية، بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة. كما ودعا المكتب السياسي للعمل على توفير كل ما ينهض بواقع الصحافة والإعلام في البحرين ويفتح الآفاق التي تلبى تطلعات البحرينيين حيالها.

إلى ذلك، ناقش المكتب السياسي العديد من الجوانب المتصلة بمسار عمله ولجانه في الفترة المقبلة، كما تطرق إلى أداء مجلس النواب وأولوياته ودور كتلة تقدَّم البرلمانية في المجلس وأكد دعمه للكتلة وتعزيز عملها البرلماني، كما تطرق إلى العمل المشترك فيما بين الجمعيات السياسية عبر اللجنة التنسيقية لهذه الجمعيات وأولوياتها في الفترة القادمة.

كما استعرض المكتب السياسي الشأن العام في المنطقة العربية وفي المقدمة التطورات الجارية في السودان، وأعرب عن تمنياته بأن يتخطى هذا البلد الشقيق ما يواجهه حاليًا من اشتباكات عسكرية، وأن تُعلى المصالح العليا لشعبه.

جمعيات سياسية تنـــدد بالاعتـــداءات الصهيونيـة علـى غزة

أدانت مجموعة من الجمعيات السياسية، من ضمنها المنبر التقدمي، الاعتداءات الإجرامية الصهيونية المتواصلة على قطاع غزة، مستهدفة الأطفال والنساء وتدمير البنية التحتية وسط صمت عربي وتواطؤ دولي، معتبرة ما يحدث جرائم حرب ضد الإنسانية وحرب إبادة ضد سكان قطاع غزة المدافعين عن أرضهم وحقوقهم المشروعة.

وقالت الجمعيات السياسية (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، الصف الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع الوطني الدستوري، والوسط العربي الإسلامي)، في بيان لها بأن: «الاعتداءات الصهيونية المتواصلة على المسجد الأقصى المبارك واقتحام المدن الفلسطينية والاعتداء على أهلها وقصف القرى والمدن الفلسطينية هو نهج واضح وثابت بل هي عقيدة راسخة لدى الحكومات الصهيونية المتعاقبة منذ وعد بلفور، وهي حقيقة تتأكد يوماً بعد يوم أن المشروع الصهيوني يستهدف احتلال الأراضي العربية من النيل إلى الفرات كما هو موثق في أدبياتها وإرثها الفكري".

وأوضح البيان بأن: "ما يتعرض له الفلسطينيون وما يزالون من جرائم إبادة وسلب لأرضهم وحقوقهم المشروعة في صمت عربي رسمي وتواطؤ عالمي سيظل وصمة عار على جبين كل من تآمر وتخاذل وتواطأ على القضية الفلسطينية من الشرق والغرب، وستظل نقطة سوداء في تاريخ البشرية والإنسانية".

الرفيق غازي العلوي يحاضر عن الأمن الغذائي في الوضع المستجد

قدّم الرفيق غازي العلوي ندوة في ملتقى التقدمي الأسبوعي حول الأمن الغذائي في البحرين، تناول فيها قدرة أفراد المجتمع في جميع الأوقات في الحصول على الغذاء الكافي لضمان الحياة الصحية الجيدة، وتناول السياسة الزراعية، التي هي مجموع الإجراءات والبرامج الإنشائية والإصلاحية التي تتخذ لتحقيق الأهداف المتعلقة بالأمن الغذائي، وتتضمن جميع سياسات الموارد الأرضية، الموارد المالية، مستلزمات الإنتاج الزراعي، خدمات الإنتاج الزراعي، الإنتاج الزراعي والذي يضم الإنتاج النباتي والحيواني والسمكي.

نوّه المحاضر بأنه يقصد بسياسة إتاحة الغذاء توفير جميع المنتجات الغذائية الرئيسية: الحبوب، الزيوت، البقوليات، الدرنات، الخضروات، الفواكه، اللحوم الحمراء والبيضاء، السكر، والألبان ومشتقاته والأسماك بانواعها، فيما تعني سياسة الأمن التغذوي حصول الفرد على غذاء كامل من الطاقة، والبروتين الحيواني والنباتي، والدهون والزيوت، والفيتامينات، والمعادن والأملاح، هذا مع توفير مياه الشرب الصحية، والسكن، والصرف الصحي الجيد، وهذا كله يعتمد على الإنتاج المحلي او على الاستيراد لسد النقص من المنتج المحلي، أما الاكتفاء الذاتي فهو مدى قدرة الانتاج المحلي على تغطية الاستهلاك الكلي من السلع الغذائية.

وأشار الرفيق العلوي إلى أن العالم شهد بعد جائحة كورونا والحرب على الدول التي تعرضت لأحداث الربيع العربي، ومن ثم العملية الروسية في اوكرانيا إتساع الفجوة الغذائية من السلع والمحاصيل الزراعية، وذكّر المحاضر أنه وبالنظر إلى أهمية الموضوع تم عقد ندوة في مجال تحليل السياسات الغذائية في جمعية المنبر التقدمي قبل سنوات بهدف المساهمة في تعريف الأعضاء بما يحقق ويساعد في رفع الوعي والتنمية الاجتماعية وربطها بالمفهوم الاقتصادي بما يتضمن السياسات الزراعية والأمن الغذائي المحرك الرئيسي للمتغيرات الاقتصادية الإقليمية الخليجية والعربية والدولية.

مشاركون في ندوة الإعلام والحريات العامة بالتقدمي:

تعدد الجهات المسؤولة عن الإعلام قلّص هامش حريات التعبير

قال الصحافي علي صالح بأن: «بداية أزمة الحريات العامة والإعلام هي مع قوانين الصحافة في البحرين»، وتابع: «أصدرت البحرين العديد من القوانين المنظمة للصحافة، أول قانون صدر في 1936، وكان عبارة عن أقل من صفحة، وينظم عمل المراسلين رغم عدم وجود مراسلين في تلك الفترة».

وأضاف: «أول قانون للصحافة صدر في 1953، وكان يهدف لتنظيم عمل الصحف الصادرة في تلك الفترة، وهو ما انعكس على أداء تلك الصحف التي كانت تنشر قبل صدور القانون بدون مرور موادها على الرقابة، ونتيجة ذلك حاولت مجلة صوت البحرين، وهي المجلة الرائدة والأكثر صيتاً في تلك الفترة الاستمرار رغم مقص الرقيب إلا إنها لم تستمر طويلاً وخسرت البحرين بإغلاقها أحد أهم التجارب الصحفية في تلك الفترة».

وواصل صالح: «في العام 1979 أقرت الحكومة إصدار قانون جديد للصحافة ووصفته حينها بالمستنير والمتنور، وقبل اصدار القانون قرر وزير الاعلام في تلك الفترة طارق المؤيد تشكيل لجنة من مجموعة من الصحافيين لإبداء الرأي ووضع الملاحظات عليه، إلا الوزير بعد ذلك رفض استلام الملاحظات وتم اقرار القانون»، مشدداً بأن: «قوانين الصحافة التي تعاقب صدورها كانت تسير من سيء إلى أسوء».

وقال صالح: «في العام 2002 صدر آخر قانون للصحافة والذي لازال سارياً حتى الآن، والذي يعتبر اسوء من سابقيه كما جاء شاملاً لكافة وسائل النشر المرئي والمقروء ووضع رقابة سابقة على مطابع النشر والسينما إضافة إلى الصحف والدوريات».

وأضاف صالح: « مع وجود وزارة الإعلام كجهة قانونية ومراقبة للعمل الاعلامي في البلد، يوجد كذلك المجلس الأعلى للإعلام والذي لم يعرف حتى الآن ما الدور الذي يقوم به، رغم تخصيص الموازنات اللازمة له، إضافة إلى مركز الاتصال الوطني»، وتابع:» تعدد الجهات المشرفة على العمل الإعلامي أدى لتقلص هامش الحريات المتاحة».

وأكد صالح على أنه:«في الدول الديمقراطية لا يوجد ما يسمى بجهة رسمية تشرف على وسائل والاعلام أو وزارة للإعلام، بل هي متروكة للشعب لتأسيس القنوات الإذاعية والتلفزيونية بدون قوانين مكبلة للحريات العامة».

مرآة الصحافة

من جهته، قال الصحافي هاني الفردان بأن: «الوضع السياسي العام في البلد هو ما يحكم الصحافة وليس القانون بحد ذاته»، وتابع: «منذ 2002 وما تزامن ذلك من اصلاحات سياسية كان مؤشر حرية الصحافة في البحرين يشير إلى 67 عالمياً، أما اليوم فالبحرين في المرتبة 171 وهو ما يدلل على التراجع الكبير الحاصل منذ بداية الألفية حتى الآن». وأضاف: «الصحافة في البحرين علاقتها علاقة طردية مع الشأن السياسي، كلما كان الوضع السياسي منفتحاً كانت الصحافة مرآة لذلك الانفتاح، والعكس صحيح».

وأوضح الفردان بأنه: «فيما يتعلق بالأسئلة البرلمانية كانت في السابق يجاب عليها من قبل الوزارة المعنية وأول من يستلم الاجابة هو النائب موجه السؤال، وتقوم بعدها الصحافة بالحصول على الاجابة إما من النائب مباشرة أو عن حينما تدرج ضمن جدول أعمال الجلسة البرلمانية»، وتابع: «الوضع اختلف الآن، عند اجابة الوزارة المعنية على السؤال البرلماني تنشر في الصحف عن طريق مركز الاتصال الوطني قبل حتى ان تسلم اجابتها للنائب موجه السؤال، وهو ما يعطي الجهات الرسمية فرصة للتحكم بالمحتوى بنسبة كبيرة».

فضفضة

مخاض الميزانية

عيسى الدرازي

المخاض التي تمرّ به الميزانية العامة للدولة للسنتين 2023-2024 عسير، ولتخرج الميزانية للنور تحتاج لتقديم تنازلات من جانب السلطة التنفيذية والتشريعية أيضاً، وإلا فإن المسار الآخر الذي من الممكن أن تخرج به الميزانية يكون عبر مرسوم ضرورة وهو ليس في وارد الحكومة، ولكن لا مجال لليقين في هذه الحالات.

ارتفاع سقف النواب يقابله كبح حكومي – شوري، والذرائع كما جاءت على لسان الفريق الشوري "عدم ارهاق الميزانية العامة". ونظير تصاعد الأصوات شعبياً من الجميع، مما شكل اجماعاً شعبياً قلّ وجوده مؤخراً، انعكاساً لما يعانيه الناس من أوضاع معيشية متراجعة وغلاء في كافة المواد الاستهلاكية وارتفاع نسب التضخم عالمياً والتناظر المباشر بينه وبين الداخل، وبات المواطن يستشعر تراجع قيمة راتبه الشهري أمام الاستحقاقات المعيشية اليومية؛ ما أدى لأن تقدم الحكومة بعضاً من التنازلات التي كان الحديث عنها في السابق بعيداً، ارتكازاً على ارتفاع أسعار النفط عالمياً.

وعلى إثر الاجتماعات التنفيذية – التشريعية لا يبدو في الأفق تحقيق اختراقات برلمانية كبيرة على طاولة المفاوضات التي لازالت قائمة عند كتابة هذا المقال، إلا أن الحكومة كما أوضحت عبر تصريحات فريقها المفاوض ستقدّم ما يمكن بما يتناسب مع الالتزامات والأعباء المالية التي تعاني منها الدولة.

وللخروج من الأزمات المالية الشاقة نرى انعطافاً في تصريحات السلطة التنفيذية فيما يتعلق بفرض ضرائب على أرباح الشركات. هذا المطلب الذي تضعه الحكومة في الاعتبار بعدما جاء التوجه العالمي بفرض ضرائب على أرباح الشركات في الدول الأجنبية. إلا إن كتلة "تقدّم" البرلمانية وضعت مثل هذه المقترحات ضمن برامجها الانتخابية منذ البدايات، وجيد أن يلقى أخيراً الآذان الصاغية لما لذلك من انعكاس مباشر على رفد الميزانية العامة للدولة بموارد إضافية غير نفطية.

في المقابل لا يجب أن يغفل القانون عن وضع حد أدنى للأرباح التي ستفرض عليها الضريبة بحيث يحفظ حقوق الشركات الصغيرة والمتوسطة، وباستثناء تلك الشركات يمكن أن يزيد ذلك من هامش المنافسة بين الشركات والمؤسسات الناشئة وتلك المؤسسات الكبرى والاجنبية التي استحوذت على الاقتصاد ولم تترك مجالاً للمنافسة.

«الإسكان» تنهي آخر عقود الموظفين الأجانب في «التخطيط»

أكّدت وزارة الإسكان والتخطيط العمراني في ردّها على سؤال برلماني، على إنهاء آخر عقد من عقود الموظفين الأجانب المنضمين بهيكل الوزارة منذ بداية العام الحالي.

وأوضحت الوزارة بأنه وبالنسبة لهيئة التخطيط والتطوير العمراني، فإن الهيئة حالياً لديها اثنين موظفين غير مواطنين، وتنتهج الهيئة خطة لإحلال مواطنين من الكفاءات الوطنية خلال السنوات الأربع المقبلة، بما في ذلك العمل على تدريب 11 بحرينياً تمهيداً لإحلالهم خلال الفترة ذاتها.

كما تعمل الهيئة على تنفيذ خطة لإثراء الكوادر البشرية بالهيئة، وذلك من خلال التنسيق مع الجامعات لاستقطاب المهندسين حديثي التخرج ممن يمتازون بالمؤهلات والمهارات المطلوبة لتوظيفهم في الهيئة، وربطهم بالموظفين غير البحرينيين لضمان أقصى استفادة من هذه الخبرة والمعرفة.

وبيّنت الوزارة بأن وجود الموظفين الأجانب في هيئة التخطيط والتطوير العمراني يأتي نظراً للطبيعة الخاصة التي يمتاز بها العمل التخطيطي، وأثره المباشر وغير المباشر على شتى المجالات بالمملكة، بالإضافة إلى طبيعة المهام الاستراتيجية الموكلة للهيئة كتخطيط الجزر الاستراتيجية وتحديث الاشتراطات التنظيمية للتعمير وإعداد الدراسات المرورية الاستراتيجية، الأمر الذي يتطلب وجود موظفين متخصصين في هذا المجال.

«البلاد» – 12 مايو 2023

العاملون في الانشاءات والمقاولات والخدمات: أجور متدنية

طالبت النقابة العامة للإنشاء والمقاولات والخدمات وزارة العمل بمتابعة الشركات والمؤسسات التي تتلقى دعم من تمكين لتحويل عقود العمال المؤقتة إلى دائمة حتى تستحق الدعم، كما طالبت بزيادة الزيارات الميدانية لمفتشي الوزارة للتأكد من سلامة مواقع العمل من ناحية الصحة والسلامة المهنية. وشدّدت النقابة على: «أهمية تطبيق نظام الحماية إلى الاجور واتخاذ الإجراءات القانونية ضد الشركات المخالفة، بالإضافة إلى ضرورة المتابعة المكثفة لشركات حراسات الأمن ومطابقة ساعات العمل بشهادة رواتب العاملين للتأكد من دفع أجور العمل الاضافي للعمال».

وقالت النقابة في بيان لها بمناسبة يوم العمال العالمي بأن: « عمال قطاع الانشاءات والمقاولات والخدمات يعانون نتيجة تضخم الأسعار وارتفاعها وفرض الضريبة القيمة المضافة 10٪، وحيث تقلصت الرواتب بنسبة 15٪، ويعتبر هؤلاء العمال الادنى من ناحية الاجور على مستوى البلد حيث لا توجد لهم علاوات ولا أجرة عمل إضافي ولا زيادة في الأجور ولا مكافئات سنوية، وتابعت: «كما يعاني العمال في هذا القطاع من ظاهرة تأخر أجور العاملين وهو ما تثبته الشكاوى التي تقوم عليها النقابة أو تلك التي يتم رصدها في الصحافة المحلية والقنوات الإخبارية على منصات التواصل الاجتماعي».

كما وأشارت النقابة إلى إنها: «وثقت ورصدت بشكل مستمر مخالفات للشركات الصغيرة والمتوسطة خصوصاً بعدم توفير أدوات الصحة والسلامة للعمال بما يعرضهم للإصابات او حالات السقوط التي تسبب الوفاة بشكل مباشر في موقع العمل».

إضافة إلى ذلك، أوضحت النقابة بأنها: «تتلقى العديد من الشكاوى حول بعض شركات حراس الأمن التي تتجاوز القانون فيما يتعلق باحتساب أجرة العمل الاضافي وتقوم بدلاً من صرفها مادياً بتحويل ساعات العمل الاضافي إلى ساعات راحة».

عاملات رياض الأطفال: أجور لا تحقق الكرامة

عبّرت نقابة العاملين في رياض الأطفال ودور الحضانة عما وصفته بالواقع المرّ الذي يعشنه العاملات في هذا القطاع. وقالت النقابة في بيان لها بمناسبة يوم العمال العالمي بأن: «العاملات في رياض الاطفال ودور الحضانة يعانون من قلة الأجور، التي لا تحقق الكرامة والعدالة للعاملين».

ولفتت النقابة بأنه: «إلى جانب تدني الأجور، يعاني العاملين من التعديلات التي أضيفت على قانون التقاعد مؤخراً فيما يتعلق بزيادة سنوات العمل، وإلغاء التقاعد المبكر».

وأوضحت النقابة: «كانت الكثيرات يعملن وهن ينظرن بارقة أمل تلوح في الأفق، وهي التقاعد بعد إتمام أربع عشرة سنة وشهرًا، ولكن بعد قرار الهيئة العامة للتامين الاجتماعي بإضافة 5 سنوات على سن تقاعد المرأة في البحرين، تكسرت الآمال على صخرة اليأس، ولا غرو إذ راتب التقاعد الذي يحلمن بالحصول عليه يفوق بكثير الراتب الذي يستلمنه وهن على رأس العمل، بنسبة قد تصل إلى الضعف عند البعض

وهنا هرعت تلك النساء اللاتي بقي على تقاعدهن القليل للتسجيل في برنامج خطوة للأسر المنتجة، إذ لاح لهم كطوق نجاة من الواقع المر الذي سيعشنه، وقد فتحت حينها الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي بابها على مصراعيه، فاستقبلت الكثير من الطلبات، واستقالت الكثيرات من اعمالهن من اجل الأمل الموعود، ووصلن قاب قوسين أو أدنى من التقاعد، وعندها وقع عليهن قرار منع اتمام سنوات التقاعد كالصاعقة، وأظلمت الدنيا في أعينهن، دون أدنى احساس من المسؤولين بالمرارة التي سيعيشها الكثير من المواطنات».

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

العمل على إحلال البحرينيين في «المواصلات»

أكّدت وزارة المواصلات والاتصالات على الفخر والاعتزاز بالكادر البحريني المؤهل العامل لديها في مختلف قطاعات الوزارة، وحرصها التام على الاستثمار في الكوادر الوطنية، والعمل بتطبيق المبادرات والخطط التي تهدف نحو إحلال البحرينيين المؤهلين في الوظائف التي يشغلها موظفين من غير الجنسية البحرينية.

وأوضحت بأن إجمالي عدد الأجانب العاملين بكافة قطاعات الوزارة (الطيران المدني، وشئون الموانئ والملاحة البحرية، والنقل البري، والبريد، والاتصالات)، يبلغ 11 موظفا فقط، حيث تم الاستغناء عن 2 من الموظفين الأجانب شاغلي الوظائف الاستشارية خلال العام 2022.

وبيّنت بأن الوظائف التي يشغلها غير البحرينيين تنحصر في مجالات الاستشارات القانونية، والأرصاد الجوية، وجودة أمن وسلامة الطيران والبرامج الهندسية المرتبطة بها، والسلامة الجوية وتخطيط النقل البري والاستشارات المرتبطة بها، لافتةً إلى أن خطة الوزارة لتنفيذ الإحلال الوظيفي تتمثل بتدريب الكوادر البحرينية وتأهيلها لشغل المناصب دون تأثر سير العمل، حيث يتراوح عدد البحرينيين الذين يتدربون حالياً على أعمال الموظفين الأجانب تمهيداً لإحلالهم، من موظف واحد إلى 6 موظفين في بعض الوظائف.

ولفتّت وزارة المواصلات والاتصالات إلى سعيها الدائم لإحلال الكفاءات الوطنية بعد تلقيها التدريب والخبرة اللازمة التي تمكنها من القيام بمهامها الفنية على أكمل وجه، وحسب الاشتراطات الدولية.

«البلاد» – 12 مايو 2023

صورة تذكارية

مهرجان خطابي بمناسبة الأول من مايو

التقدمي: واقع عمالي مرير يقابله خلافات نقابية

قال أمين عام المنبر التقدمي المحامي عادل متروك بأننا: «نستشعر البؤس أكثر من أي وقت مضى، بعد أن بدا واضحاً أنّ الدولة تتخلى عن التزاماتها ووظائفها الاجتماعية لصالح تسليع الخدمات الضرورية، تلك الخدمات التي ترتبط بأصل حياة المواطنين، بحيث يشكّل استمرارها والمحافظة عليها مسألة وجودية، بالأخص للكادحين ومحدودي الدخل، مثل الصحة والتعليم، الطاقة والمحروقات وغيرها من الخدمات التي يتم تسليعها بعد نقلها للشركات الخاصة المملوكة لأفراد وكيانات في غالبيتها شركات أجنبية لتضيف بهذا مزيداً من القهر والمعاناة للشعب الكادح».

جاء ذلك في الحفل الذي أقامه المنبر التقدمي بعد ظهر الأول من مايو، بمناسبة يوم العمال العالمي، بمشاركة عدد من النقابيين، وألقى فيها رئيس قطاع النقابات، عضو المكتب السياسي للتقدمي الرفيق علي غنّام، البيان الصادر عن التقدمي بالمناسبة.

وشدّد المتروك في كلمته خلال حفل الأول من مايو الذي نظمه التقدمي على أن: "هذا التوجه في سياسة الدولة باستحداث مؤسسات وكيانات موازية للوزارات التابعة لها تقوم على تعميق سياسة الخصخصة مثل الهيئات التي أصبحت تتولى إدارة كافة مناحي حياة المواطن في سوق العمل والكهرباء والماء، المعلومات الحكومية الإلكترونية، التخصصات الصحية، جودة التعليم، الاتصالات، التنظيم والتطوير العمراني، التأمينات الاجتماعية وغيرها من الهيئات التي لم يتم انشاؤها إلا لغرض محدد هو تهميش الطبقة العاملة، وتغريب دورها أو ارتباطها المباشر بمنظومة إدارة الإنتاج، عبر تحالف هذه الهيئات مع الرساميل للقطاع الخاص، هو في جوهره تحالف بنيوي، يتم فيه تماهي تلك الشركات مع مؤسسات الدولة، تعويم للقطاعات العامة واذابة الحدود بين العام والخاص، لتصبح الأولى منقادة الى الأخيرة، انتهاك حرمة المال العام وهدره في غير مقتضاه ودون اعتبار لحاجات الفقراء والكادحين».

عادل متروك

إيمان شويطر

ولفت متروك إلى أنه: «لتكريس هذا الواقع المرير كان لا بد من حرف الحراك العمالي عن وجهته وإشغاله بمتاهات الخلافات البينية واللعب على واقع التناقضات والعصبيات والطوائف، وغضّ النظر عن كثير من التجاوزات، حتى أصبح حراكنا العمالي معنياً فقط بهمومه ومشاكله الداخلية وترميم صدعه بدل أن يكون رأس حربةٍ في وجه تغوّل الفساد والغلاء ومواجهة أشكال الاضطهاد في مواقع العمل وبدل أن يكون سدا منيعا ضد أية مشاريع أو مراسيم بقوانين تنال أو تنتقص من حقوق من تمثلهم».

ونوّه بأن: «واقع نضال الطبقة العاملة في وقتنا الحالي بات مغيباً خلف مسمى نقابات، لا تدرك مغزى دور الطبقة العاملة، ولا تعي أهمية حراكها الثوري، ولا تسعى إلا وراء صفقات خاوية خابت معها آمال الكادحين".

ودعا متروك إلى: «للالتفات نحو العدالة التقويمية، بإعادة النظر في كثير من جوانب العمل النقابي عبر تمكين مشاركة كافة النقابات، وبالأخص تلك التي تنشط في القطاعات الحيوية المهمة، ويشكل وجودُها أثراً فعلياً في مصير الحياة العامة، حتى يعود للطبقة العاملة مكانها ودورها الطبعيين والتاريخيين المؤثرين».

مساندة "تقدّم"

إلى ذلك، قالت النائب عن كتلة «تقدم» البرلمانية إيمان شويطر بأنه: «تواجه العمال تحديّات كبرى في ظلّ البطالة المستشرية واستمرار العمل بالعقود المؤقتة والفصل التعسفي وتهميش دور النقابات العمالية في الدفاع عن مصالح العمال وتسهيل إجراءات جلب العمالة الوافدة والتصريحات الاستفزازية التي آخرها ما صرح به وزير العمل عن تحويل أكثر من 84 ألف تأشيرة سياحية إلى تأشيرة عمل"، وتابعت: "وكذلك التصريح المشكوك في أمره الذى أدلى به في احتفال نقابات عمال البحرين في الاول من مايو بخصوص خفض نسبة البطالة من 7.6٪ الى 5.4٪ كل ذلك يعني استخفافا بالمطالب الشعبية والبرلمانية لتوظيف وإحلال البحرينيين محل الأجانب".

علي غنّام

عبدالحميد القائد

مشاركة غنائية

وأكدت شويطر على أن: "الكتلة تعلن تضامنها مع جميع العمال في البحرين وتقف معهم في جميع مطالبهم المشروعة"، وتابعت:" تقدّمت الكتلة بعدة مطالب في المجلس من خلال رفع مطالب النقابات العمالية بتحسين الأجور واعادة المفصولين وعدم تهميش النقابيين

جانب من الحضور

واعطاءهم حقهم المشروع في التفرغ وتطوير العمل النقابي وتفعيل حوار حقيقي بين العمال وأصحاب العمل بما يفضي الى تحقيق مصالح العمال، وبكل ما يقتضيه ذلك من عمل تشريعي من أجل إعادة كتابة قانون العمل ليصبح أكثر عصريا واستجابة لمصالح الطبقة العاملة وحاجات تطور مملكة البحرين".

واستغربت شويطر من منع مسيرة للعمال تمّ طلب التصريح لها من التقدمي وعدد من النقابات والاتحاد العام، وأوضحت: "نعيش أوضاعاً أمنية وصحية اعتيادية فلماذا المنع؟، رغم ان المسيرات التي قادها التقدمي والحركات العمالية في السابق كانت حضارية دائماً ولا يشوبها أي إخلال بالأمن"، وشددت: "يعد هذا المنع تسطيحا لفاعلية الطبقة العاملة في مجتمعنا واستخفافا بمكانتها وتهميشا لدور النقابات العمالية في الدفاع عن مصالح العمال".

نضال عمالي

على صعيد متصل، استذكر النقابي المخضرم عباس عواجي صفحات من تاريخ من النضال العمالي والنقابي يمتد لنصف قرن مضى. وقال عواجي بأن: «مياهاً كثرة جرت تحت الجسر وذكريات مريرة ومؤلمة تراكمت عبر السنين منذ بداية سبعينيات القرن الماضي التي شهد العديد من التموجات العمالية كان مصيرها الوأد وتغييب قياداتيها في السجون».

وتحدث عواجي عن المسيرة العمالية التي دعا إليها ومجموعة من رفاقه في العام 1973، والتي كانت تطالب بإفساح المجال للعمال البحرينيين العاطلين عن العمل وعدم مزاحمة الأجانب. وتساءل عواجي بعد 50 عاماً من تلك المسيرة لا زالت ذات المعضلة قائمة ولا يوجد لها حل في الأفق القريب، مشدداً على أن: «الرأسمالية هي التي تخلق البطالة من اجل ان تعيش على جهد الطبقة العاملة».

عباس عواجي

نقابات صفراء

من جانبه، أكّد أمين سر نقابة طيارين طيران الخليج القبطان صقر الحمادي على: «وجود العديد من الإدارات بالشركات تحارب ممثلي العمال، وأهم الأمثلة على ذلك هو ظاهرة النقابات الصفراء والمنظمات الصفراء ممن يطبلون للفساد والمتنفذين والتغطية على مصادرة حقوق العمال والتصفيق للظلم في سبيل مكاسب خاصة وفئوية».

وأشار الحمادي إلى: «العديد من الأمثلة على مظاهر التراجع بالحركة العمالية والنقابية، وتتزامن هذه المعضلة مع أزمات خطيرة غير مسبوقة، حيث أنه وفي سابقة لم يُعهد لها مثيل يتم رفع بلاغات وشكاوي ضد النقابيين أمام الجهات الأمنية، كما يتم فصل بعض النقابيين واستهدافهم وما كان ذلك ليتم ويتحقق لولا شعور بعض الإدارات والمتنفذين فيها بغياب المظلة التي

صقر الحمادي

تحمي النقابيين والعمل النقابي، فاستفردت هذه الادارات والجهات المتنفذة بالنقابيين بمحاولة لإسكات صوت العمال»، وتابع: «كان لنا في نقابة طيارين طيران الخليج تجربة مماثلة عندما حاولت جهات متنفذة استخدام نفوذها بسبب ضعف الحماية للحقوق التي كفلها الدستور، ولكن بعزيمة العمال من الطيارين وارادتهم القوية وايمانهم بعدالة قضيتهم لقد استطاعوا دعم ممثليهم المنتخبين مما مكننا من كسب المعركة القانونية وجعل هذه النقابة أمراً واقعاً بحكم القانون».

مشاركات شعرية وغنائية

وتضمّن الحفل مساهمة شعرية قدّمها الشاعر المعروف عبدالحميد القائد، واختتم الحفل ببرنامج غنائي قدّمت فيه فرقة «Band 812" بقيادة الفنان الشاب ناصر زيمان عدداً من الأغاني في حبّ الوطن.

مطرقة البرلمان

مـــرئيـــاتنـــا حـــول
الميـــزانيـــة العـــامـــة للـــدولـــة

ليس خافياً على غالبية المتابعين للشأن المالي والمعيشي في البحرين سرعة تدهور الأوضاع المعيشية للمواطنين بمختلف شرائحهم، في ظل ارتفاع معدلات تضخم اسعار السلع الاستهلاكية، بشكل اساسي، وجمود مستويات الأجور والرواتب لسنوات، وبالتالي انحدار شرائح مجتمعية مهمة إلى مستويات أقل كثيراً من مستوياتها المعهودة، واستمرار المواطنين في البحث عن بدائل لمعالجة أوضاع أسرهم المعيشية، يزيد ذلك سوءا تفاقم معدلات البطالة وغياب الرؤية الواضحة لدى الحكومة في تحقيق اختراقات فعلية تفضي الى زيادة فرص ابناء الوطن في الحصول على فرص عمل من شأنها أن تخلق التوازن المطلوب في سوق العمل المختل أصلاً لصالح العمالة المهاجرة، نتيجة عدم وجود حلول موضوعية طيلة السنوات الماضية، وعدم اعتراف فعلي من قبل الحكومة بالمعدلات الحقيقية للبطالة، وخسارة الألآف من فرص العمل لصالح الأيدي العاملة المهاجرة، لذلك يصبح من الطبيعي جداً، وفي ظل وجود هكذا معطيات أن يبدو المشهد العام لفرص تحقيق تحسن مقبول لمستويات المعيشية للمواطنين في ظل ما هو مقدم من معطيات أمراً متعذراً بالفعل!.

لهذه الاسباب وغيرها يعوّل الكثير من المواطنين على أن تفضي المناقشات الدائرة حول الميزانية العامة للسنتين الماليتين2023 – 2024 بين السلطتين التشريعية ممثلة في مجلسي النواب والشورى من جهة، والحكومة من جهة أخرى، إلى تحقيق بعض النجاحات لصالح اعادة التوازن لحالة الأوضاع المعيشية للمواطنين بشكل عام والوضع الاقتصادي برمته.

لقد بات الوضع المعيشي والاقتصادي المتدهور للمواطنين لا يحتمل المكابرة أبداً او حتى الهروب بعيداً عن ملامسة تلك الحلول المرجوة، فذلك أمر ربما يكون ممكنا في بعض جوانبه في هذه الفترة بالذات، خاصة مع تحسن أسعار النفط ومعدّلات النمو المعلنة، وبالتالي زيادة ايرادات الدولة بشكل عام، والتحسب جيدا لتداعيات ذلك الهروب على جملة الأوضاع المعيشية، وبالتالي انعكاساتها المباشرة على حالة الاستقرار والرضا المجتمعي ومعدلات النمو ذاتها.

يكفي أن نقول إن مجرد تدارك جوانب القصور العديدة المتوافرة حالياً في مشروع الميزانية محل النقاش بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، في حال تمّ الإصغاء لها جيداً من قبل الحكومة، فبإمكان ذلك أن يصلح الكثير من مجريات الأوضاع المعيشية والاقتصادية وسيزيد ذلك حتما من معدلات النمو ويحسن من حالة الأوضاع الاقتصادية بشكل افضل.

الميزانية بوضعها الحالي تحتاج إلى معالجات عاجلة لا تحتمل التأجيل، وحتى يصبح مشروع التوازن المالي المطلوب منطلقاً أساساً من اعادة هيكلة الميزانية

عبدالنبي سلمان

بشكل أكبر من مجرد الحديث عن معالجة العجز في الموزانة والذي من الواضح جداً أنه ينحو فقط باتجاه التكيّف مع تداعيات ما أحدثته السنوات الماضية من ارتفاع غير مقبول في المديونية العامة للدولة، حتى ولو كان ذلك فقط على كاهل إرهاق المواطنين بالضرائب، دون الالتفات حتى اللحظة إلى ضرورة فرض ضرائب على الشركات الكبرى والاستثمارات الخارجية كما فعلت وتفعل معظم دول الجوار!

يضاف إلى ذلك عدم الاصغاء جيداً لضرورة زيادة ايرادات المشاريع الانتاجية، وإستسهال التضخم الحاصل في أجهزة وإدارات الدولة وتشعباتها، في مقابل التحفظ الشديد حول رفع سعر النفط في الميزانية التقديرية للبلاد والاستمرار في حديث غير مقنع عن خفض النفقات، وكأن النفقات هي فقط أجور العاملين في أجهزة الدولة الذين يراد اخراجهم من جداول الرواتب الحكومية وتحميل الصناديق التقاعدية المتدهورة أصلا بكلف مضاعفة تزيد من تدهورها القائم، في حين لازالت النفقات الأمنية والعسكرية التي تشكل اكثر من 40٪ من ميزانية المصروفات على حالها دون تغيير، وبشكل لا يقبل مجرد المراجعة للأسف!! حتى في ظل حالة الاستقرار الأمني القائمة وتحسن الأوضاع السياسية إقليميا لصالح مزيد من الاستقرار والتعاون، والذي يفترض أن يكون مدخلاً لإعادة جدولة مدروسة لكافة وجوه الإنفاق وفي مقدمتها الإنفاق الأمني دون مبررات موضوعية!!

تلك وغيرها الكثير، مقترحات تقدّمت بها كتلة تقدّم البرلمانية كمرئيات يجب الالتفات إليها سريعا ونحن نناقش جديّاً اهم مشروع مطروح على طاولة النقاش بين السلطتين التشريعية والتنفيذية منطلقين من مسؤلياتنا السياسية والوطنية تجاه ما نأمله لبلادنا الحبيبة، إسهاما منا في رفد توجهات الدولة لتحقيق الغايات الوطنية ووضع المعالجات المرجوة لتصحيح مكامن الخلل الواضحة بحسّ ومسؤولية وطنية.

وثيقة

مرئيات «تقدّم» حول مشروع الحكومة للميزانية العامة

ملاحظات أساسية عامة:

يبدو أن مشروع الميزانية لم يأت متوافقا مع الاستدارة الإقليمية التاريخية المستجدة والنوعية في منطقة الخليج والجزيرة العربية، والعلاقات فيما بين دولها (دول مجلس التعاون الخليجي + إيران + العراق + اليمن)، سواء من حيثُ وجهات وآفاق التعاون والتنمية الاقتصادية الاجتماعية أو سياسات أوبك+ في ترتيب أوضاع أسواق الطاقة العالمية بما يخدم الحاجات التنموية لدول المنطقة.

وعليه، فقد جاء مشروع الميزانية للسنتين 2023 – 2024 بروح ما سبقها من ميزانيات، ولا يهيئ بلادنا لمتطلبات التطور اللاحق في المنطقة والاستفادة من فرص مستجداتها.

كذلك لا يوحي مشروع الميزانية بالاستجابة لما ثبته أصحاب السعادة النواب من تعديلات هامة في مشروع برنامج الحكومة وأهمها أسبقية هدف العدالة الاجتماعية، وبإعطاء الأولوية لتحسين الحالة المعيشية للمواطنين. فالإجهاد الضريبي للمواطنين لا يزال يشكل الثقل الأساسي في الإيرادات غير النفطية. كما أن غياب الضرائب عن الشركات يحرم الميزانية من موارد هامة.

كما يلاحظ استمرار ضعف دور المشاريع الإنتاجية في تمويل إيرادات الميزانية المعتمِدة على عائدات الصناعة الاستخراجية (النفط والغاز) من جهةٍ، ومن الجهة الأخرى الضرائب والرسوم المرتبطة بالاستهلاك وليس بأداء المؤسسات الاقتصادية. وكذلك غياب هدف تعزيز استثمارات قطاع الدولة، منفردة أو بالشراكة مع القطاع الخاص، في التنمية الصناعية والإنتاجية، ما يعود بتقوية لقدرات الدولة الاقتصادية ويؤمن جزءا من اكتفائها الذاتي ويدرُّ عائدات مالية وفيرة لميزانيتها مستقبلا.

استمرار تضخم وتشعب أجهزة الدولة بما يشتت جهودها ويضعف فاعليتها، وفي نفس الوقت يشكل عبئا إنفاقيا كبيرا على الميزانية.

لماذا العجز في الميزانية؟

العجز في الميزانية لا يعود برأينا إلى شحة الموارد، بقدر ما يعود إلى طبيعة المقاربات الاقتصادية الاجتماعية والإدارية أثناء وضع بنود الإيرادات أو المصروفات على حدٍ سواء، وخصوصا:

المحافظة في تقدير سعر برميل النفط المحتسب للميزانية

المبالغة في الإنفاق غير الضروري يقابله القصور في مختلف جوانب الإنفاق الاجتماعي.

انعدام أو شحة المردود المالي لكثير من الهيئات والمؤسسات.

ضعف سياسة الميزانية الاستثمارية وبالتالي ضعف الإيرادات الاستثمارية.

ومسببات العجز هي نفسها مسببات تفاقم الدين العام وتعاظم خطورته. وتستهدف مرئياتنا التالية العمل على سد العجز وتحويله إلى فائض في مشروع الميزانية قيد المناقشة، وكذلك ميزانيات السنوات القادمة. إضافة إلى التخلص من ربقة الدين العام وإكساب الميزانية محتوى تنمويا حقيقيا أعمق وأبعد مدى، فمشروع الميزانية المقدم لمجلس النواب لا يمكن أن نطلق عليه ميزانية تنموية، بحسب ما قدمته الحكومة بصورته الأولية.

حول اعتماد سعر برميل النفط في الميزانية:

غير واضحة المعايير التي اتبعتها الحكومة الموقرة لتكرار اعتماد سعر النفط في الميزانية بـ 60 دولارا للبرميل في مشروع الميزانية الحالية، كسابقتها. الواقع أفاد ويفيد أن سوق النفط العالمي في تحسن إجمالا. وبالرغم من التراجع الذي حدث في سعر النفط بنسبة 20.6٪ بين بدايتي إبريل 2022 وإبريل 2023، إلا أن متوسط سعره تراوح بين 75 –80 دولارا للبرميل على أقل تقدير. ومع اتفاق دول أوبك+ الأخير على خفض الإنتاج بمقدار 1.7 مليون برميل يوميا حتى إعادة تقدير الوضع في نهاية العام الحالي، فإن غالبية التوقعات هي أن يرتفع السعر حتى نهاية العام إلى ما يزيد على 100 دولار للبرميل. كما تشير توجهات هذه الدول من الآن فصاعدا إلى أن الاعتبار الأول في قراراتها المتعلقة بالطاقة وأسواقها سيكون مصلحة بلدانها وزيادة عائداتها من العملات الصعبة لضمان تمويل مشاريع استثماراتها الإنتاجية – التكنولوجية الضخمة، ما يوحي بأن سعر النفط والغاز الرخيصين قد ولى.

وعليه، نستطيع أن ننظر بثقة إلى استقرار أطول أمدا لأسعار نفط مرتفعة نسبيا. وبثقة يمكننا أن نعتمد في الميزانيتين رقما أعلى لسعر النفط لا يقل عن 70 دولارا للبرميل.

وبالتالي فإن الزيادة المحققة في تقديرات إيرادات النفط والغاز ستكون بنسبة 16.7٪، أي ما قيمته نحو 323.4 مليون دينار بحريني للعام 2023 ونحو 362 مليون دينار بحريني للعام 2024

حول نفقات قطاعي الدفاع والأمن:

أخذا بعين الاعتبار تطورات العلاقات السياسية الاستراتيجية الدولية والإقليمية الإيجابية لمجمل دول المنطقة (مجلس التعاون الخليجي + إيران + العراق + اليمن)، وما يعكسه ذلك من انفراج عسكري وأمني يشيع أجواء السلام والاستقرار في المنطقة وداخل كل من بلدانها على حدة، ويفتح آفاقا جديدة للتعاون الاقتصاديً الإقليمي ومع بقية العالم من أجل التنمية، فإن ذلك يبدأ في تحويل التهديدات السابقة إلى فرص للتنمية والرخاء الاجتماعي، ومع أهمية الحفاظ على مستوىً لائق للقدرات الأمنية والدفاعية، إلا أن هذه التطورات الإيجابية تتيح فرص خفض مخصصات القطاعين العسكري والأمني اللذان استحوذا في السنوات السابقة على نحو 40٪ من مخصصات القطاعات، وإعادة توجيه الوفر صوب القطاعات الإنتاجية والخدمية الاجتماعية والادخار وتقليص حجم الدين العام.

إن هناك حاجة ماسة لإجراء دراسة جدية للقيام بذلك.

من جهتنا نقترح خفض مخصصات قطاعي الدفاع والأمن تدريجيا: بنسبة 20٪ في ميزانية عام 2023، و25٪ في ميزانية عام 2024. هذا سيحقق للميزانية وفرا بقيمة نحو 194.7 مليون دينار بحريني عام 2023 ونحو 243.1 مليون دينار بحريني عام 2024.

حول السياسة الضريبية:

كمبدأ دستوري، وتماشيا مع التعديل الذي أُدخل على مشروع برنامج الحكومة بسمو مبدأ العدالة الاجتماعية، فإن هذه العدالة يجب أن تتجسد أكثر ما تتجسد في السياسة الضريبية وتشكل جوهرها.

في ميزانيات السنوات الأخيرة، ومنها مشروع الميزانية الحالي، يغيب مبدأ العدالة الاجتماعية عن السياسة الضريبية بشكل واضح. فغالبية الإيرادات من غير القطاع الاستخراجي (النفط والغاز) تتأتى من الضرائب غير المباشرة، غير العادلة، وخصوصا ضريبة القيمة المضافة، التي تشكل حصتها من إجمالي إيرادات الجهاز الوطني للإيرادات 86.56٪ للعام 2023 ونحو 87٪ للعام 2024. من حيث القيمة هذه المبالغ تقرب من 522 مليون دينار عام 2023، ونحو 560 مليون دينار عام 2024. وواضح أنها تتحصل أساسا من جيوب المواطنين بسبب ضريبة القيمة المضافة البالغة 10٪ على المشتريات.

برأينا أن التعزيز الحقيقي لموارد الدولة يجب أن يتأتى من صلب النشاط الاقتصادي للشركات الكبيرة. هذا ما أقرته غالبية العالم (136 دولة تمثل 90٪ من الاقتصاد العالمي) في مؤتمر منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في أكتوبر 2020، باعتماد 15٪ كحد أدنى للضرائب على دخل الشركات الكبيرة. وهذا ما سيؤمن موارد مالية إضافية تقدر بـ 150 مليار دولار سنويا، وحسب المتوسط العالمي فإن هذا سيؤمن لبلادنا ما يعادل 416 مليون دينار بحريني سنويا. كما يؤمن هذا الاتفاق حق الدول الوطنية في فرض الضرائب على عائدات شركات القطاع الرقمي التي تتحقق من أنشطتها على أراضي هذه الدول عبر الإنترنت.

أكثر من ذلك فإن ثروات الأفراد الضخمة غير المستغلة اقتصاديا تخضع في كثير من دول العالم إلى الضرائب، وتشكل موردا لا بأس به لميزانية الدولة. ومثل ذلك الأراضي البيضاء التي طالتها الإصلاحات الضريبية، بما في ذلك في منطقتنا.

حول تضخم وتشعب أجهزة الدولة وفاعلية أدائها:

يبين مشروع الميزانية أن تشعب أجهزة الدولة يضم 77 تشكيلا تزدوج وتتكرر فيها المهام ويزداد عدد المسؤولين ذوي الرواتب والامتيازات فوق الاعتيادية، في الوقت الذي تتضارب وتضيع المسؤوليات ويضعف الأداء، بينما يشكل كل ذلك عبئا ثقيلا على الجانب الإنفاقي لميزانية الدولة، نستطيع ببعض الترشيد توفير أموال لا بأس بها في نفقات الميزانية.

أهم مظاهر ازدواجية وتضارب المسؤوليات يبرز في وجود وزارات وهيئات نظيرة لها في ذات المهام. وكثيرا ما اصطدم أعضاء السلطة التشريعية في عملهم التشريعي والرقابي أو

في متابعاتهم اليومية من ضياع مسؤوليات الوزارات بشأن مهامهم وعلائم تحلل الدولة من كثير التزاماتها، خصوصا الاجتماعية، بينما شكلت الهيئات في أحيان كثيرة سلما لزحف القطاع الخاص، خصوصا الأجنبي في إزاحة الدولة من الأنشطة الاقتصادية والخدمية الاجتماعية وإقصار دور الدولة «كمنظم» فقط. أما في الحقيقة، وكما علمتنا الأزمات ومنها جائحة كورونا فسيطلب الجميع من الدولة أثناء المحن ممارسة دورها القيادي المفترض وإنقاذ المتضررين من شركات ومجتمع. فلماذا يسلب من الدولة كل مصادر قوتها؟؟ وواضح بهذه الطريقة أننا نضعضع أركان الدولة التي نريدها قوية وفاعلة!!

وعليه، فبرأينا إن إعادة أمور الوزارات إلى سابق عهدها سيوفر على الميزانية أموالا، وعلى الدولة أعباءً إدارية ويركز جهدها على دورها في التنمية الاقتصادية الاجتماعية الشاملة والمستدامة.

هنا أيضا نحن نسعى إلى حل التناقض الصارخ بين توسع الدولة في توظيف أكبر عدد من المسؤولين ذوي المرتبات والامتيازات العالية من جهة، ومن جهة أخرى سعيها لتقليص أعداد المواطنين العاملين في الوظائف الاعتيادية!! وهذا ما يعكس جانبا منه اتجاه المصاريف المتكررة للوزارات والجهات الحكومية للانخفاض!!

وهذا ما تسميه الحكومة بضبط نفقات القوى العاملة. وهذا يعني واحدا من إثنين أو كلاهما معا: أولا: خفض معدلات التشغيل في القطاع العام (بينما تشغيل المواطنين أحد أهم الوظائف الاجتماعية للدولة)، ثانيا: تجميد، أو حتى تراجع مستويات الأجور حتى في ظروف ارتفاع معدلات التضخم وغلاء الأسعار والضرائب المرهقة وتراجع الدعم، بكل ما يعنيه ذلك من آثار وخيمة على المجتمع.

دعَونا وندعو دائما إلى دعم وتطوير البحث العلمي وتحويل العلم إلى قوة منتجة. إلا أنه مع تعدد وتشعب المؤسسات نشهد تراجعَ ارتباطها الحقيقي بالشأن الاقتصادي الاجتماعي وهدرها للموارد. فعلى سبيل المثال لا يبدو مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة إلا في جانب المصاريف المتكررة للميزانية (1.226 مليون دينار لسنة 2023 ومثلها لسنة 2024). بينما كان سابقه «مركز البحرين للدراسات والبحوث» الذي تم حله يقوم بدراسات لصالح وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وسوق الأوراق المالية ووزارة الإسكان وإدارة الثروة السمكية والقطاع التعاوني وصندوق التقاعد والتأمينات الاجتماعية وغرفة التجارة والصناعة وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية وغيرها من الدراسات التي تدر دخلا وتسهم في تحسين أداء تلك المؤسسات.

وعليه، فتخفيفا لنفقات الميزانية نقترح دمج جميع المؤسسات ذات الطابع البحثي العلمي في مركز علمي بحثي واحد وربط إنتاجه عضويا بأداء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في المملكة وتحفيزه، وبالتعاون مع المؤسسات العربية والإقليمية والدولية النظيرة.

حول المشاريع:

صحيح أن الإنفاق على المشاريع في الميزانية مرتبط ببرنامج دعم الدول الخليجية الشقيقة مشكورة ووجهاته (225 مليون دينار لسنة 2023 ومثله لسنة 2024)، إلا أن ذلك لا يعفي من رؤية العوار الذي يكتنف مشروع الميزانية في هذا الجانب:

تشكل مصروفات المشاريع نسبتي 6.25٪ و6.35٪ فقط من إجمالي المصروفات العامة للسنتين 2023 و2024 على التوالي!!

الأدهى من ذلك أن من بين نحو 50 مشروعا تضمنتهم مصروفات المشاريع تكاد تغيب من بينها المشاريع ذات الطابع الإنتاجي. وهذا ما يتطلب إعادة نظر.

وصحيح أن المؤسسات الإنتاجية والاقتصادية التي تعتبر الدولة مالك أساسي فيها مدرجة في مشروع الميزانية تحت بند شركة ممتلكات القابضة والشركة القابضة للنفط والغاز «نوغا»، لكنها بمثابة الحاضر الغائب، إذ تورد رقما مجملا واحدا لإيراداتها هو 40 مليون و66.4 مليون دينار فقط!! هذا يترك إبهاما كبيرا، ويحتاج إلى مراجعة دقيقة.

وفي الظروف العالمية الراهنة وتقطع سلاسل الإمداد فإن من أهم المشاريع الإنتاجية لأي بلد تلك المتعلقة بالأمن الغذائي وتأمين ما أمكن من الاكتفاء الذاتي. نعني بذلك قطاع الزراعة وصيد الأسماك، لما لهذا القطاع من أهمية غذائية، ولكونه يمس مصير آلاف المنتجين من مزارعين وصيادين وأسرهم. حصة هذا القطاع في الناتج المحلي الإجمالي للمملكة هابطة جدا، عند حدود 0.3٪. ورغم دعم بعض المشاريع الزراعية، إلا أن مشروع الميزانية لم يُعِر أي اهتمام لدعم الزراعة وصيد الأسماك والحرف الأخرى والعاملين في هذا القطاعات.

حول الدين العام:

مسببات العجز أعلاه هي نفسها مسببات تفاقم الدين العام، ومعالجتها هي معالجة تفاقم الدين العام، ومن ثم تقليصه والتخلي عن الإدمان على الاقتراض المهلك. فبطريقة العيش هذه لا يبدو أن سحابة الدين العام ستبدأ في التبدد، بل بالعكس، تصاعد حجم الدين إلى جانب الارتفاع المستمر في سعر الفائدة عليه يهدد بتحوله من مشكلة إلى أزمة مستفحلة يستعصي حلها مستقبلا.

وفي هذا الصدد نطرح الرؤى التالية:

إن غياب قانون الدين العام الذي رفضت الحكومة الموقرة مشروعه في عام 2008، واستمرار العمل بالقانون رقم (15) لعام 1977 وتعديلاته لا ينفي الحاجة إلى سن قانون جديد للدين العام يمكن السلطة التشريعية من القيام بواجبها في المراقبة والمحاسبة لسياسة الاقتراض.

منذ سنوات ابتعدنا كثيرا عن المستويات الآمنة للدين العام من حيث نسبته إلى الناتج المحلي الإجمالي المعمول بها في بلدان العالم الأخرى (بلدان الاتحاد الأوروبي وكثير من العالم 60٪)، إذ أنه حتى مع انحدار نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي لمملكة البحرين مؤخرا من 114٪ إلى حوالي 101٪، مع بقائه على نفس مستواه المرتفع من حيث قيمه المطلقة (فقط من 16.9 مليار إلى 16.7 مليار دينار بحريني)، فإن هذا المستوى لا يعد آمنا أبدا، كما أشار تقرير الحكومة الموقرة المرفق بمشروع الميزانية.

المستوى الآمن للدين العام تحدده شروط أخرى، من أهمها توافر الاحتياطي النقدي الأجنبي (وخصوصا مكونه الذهبي). فصافي الأصول الأجنبية انخفض من 1.582 مليار دينار في يوليو 2021 إلى 1.238 مليار دينار في يوليو 2022، منها 2.5 مليون دينار فقط القيمة الدفترية لاحتياطي الذهب حسب المعطيات الرسمية.

وعليه نرى أنه بات من الضروري التوقف عند هذه المعطيات والاتجاه الجريء والمسؤول نحو وقف اللجوء إلى الاقتراض كلية لفترة لا يجب أن تقل عن أربع سنوات (على مدى ميزانيتين على الأقل).

هل هذا ممكن؟ نعم، إذا غيرنا مقاربتنا للميزانية بمنظور اقتصادي اجتماعي أكثر تقدما، لمصادر وطبيعة الإيرادات، ووجهات وطبيعة الصرف. ووفق الرؤى التي طرحناها والأرقام التي سميناها أعلاه، فإن ذلك سيحقق وفورات تزيد عند أضعف التقديرات على 973 مليون دينار لسنة 2023 ومليار دينار لسنة 2024. وهذا ما يمكن أن يحول العجز إلى فائض، حتى مع سداد فوائد الدين العام، ويؤمن الطريق الواقعي نحو تقليص حجم الدين العام على طريق إنهائه.

على أن ذلك يتطلب توفر الإرادة السياسية لتبني عدة مبادئ هامة، في مقدمتها الموقف الإيجابي من وجهة ومستقبل التطور الاقتصادي الاجتماعي، الديمقراطية والشفافية التامة في التعبئة الداخلية لموارد الدولة وتوظيفها للأهداف التنموية الاقتصادية الاجتماعية الحقة، الاعتماد على الكادر الوطني المؤهل وإشراك قوى المجتمع المختلفة في وضع السياسات وتعبئة طاقاتها من أجل التنفيذ.

«تقدّم» ترحب باستعداد الحكومة فرض ضرائب على الشركات

رحبت كتلة "تقدم" بتصريح وزير المالية أمام مجلس النواب عن استعداد الحكومة لفرض ضريبة على الشركات، وبالحد الأدنى الذي أقرته منظمة التعاون الاقتصادي عام 2020، واشارته إلى أن الحكومة تعمل على إعداد مشروع القانون الخاص بذلك.

جاء ذلك في بيان صادر عن الكتلة أكدّت فيه على أن خطوة مثل هذه تعدّ تفاعلاً آيجابياً مع أحد المقترحات الرئيسية في رؤية الكتلة بشأن مشروع الميزانية العامة 2023 - 2024، واستجابة طال انتظارها لمطلب شعبي ونيابي، وسيكون لها في حال تطبيقها انعكاسات ايجابية كبيرة، بعيدا عن فرض المزيد من الضرائب على المواطنين، ودعت "تقدّم" الحكومة إلى سرعة تقديم هذا المشروع ومزامنته مع إقرار مشروع الميزانية من قبل السلطة التشريعية.

أيــن مشـــروع الميــزانيـــة العامة ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ من الفرص المستجدة؟

كثيرا ما يأخذنا الضخّ الإعلامي للحكم على جدوى الميزانية بمدى تحقيقها للتوازن المالي، وما إذا كانت تضعنا على طريق الاستدامة المالية!! قراءة كهذه لا تكشف الجوهر الأهم لوظائف الميزانية. الميزانية العامة أخطر بيان خلال العام يعكس جوهر السياسة الاقتصادية الاجتماعية للدولة وموقفها من التنمية المستدامة بكل جوانبها ونوعية الحياة عموما ومحتوى علاقاتها الإقليمية والدولية واستيعابها لمتغيراتها. وكل ذلك على قاعدة الموارد المالية التي يمكن للدولة تعبئتها وتوجيهها. أي أن كل رقم في الميزانية يحمل مضمونا أبعد بكثير من البعد المحاسبي.
لكن هل يا ترى قرأ مشروع الميزانية ذاته دينامية مستجدات الأوضاع الدولية والإقليمية وما تطرحه من تحديات؟ مقدما نقول: لا، للأسف. ولنُشَرّح هذا الإدعاء بالنسبة لموضوعات رئيسية ثلاث.

عبد الجليل النعيمي

احتساب سعر برميل النفط

في جانب تكوين القاعدة المالية التي تؤمن حُسن أداء الميزانية لوظائفها أخفق مشروع الميزانية في تلك القراءة. كان واضعوها شديدي المحافظة باحتسابهم رقمًا غير واقعي لسعر برميل النفط بستين دولارا، وعليه تقدير دخل الميزانية من عائدات النفط. أكد وزير الطاقة السعودي، الأمير عبد العزيز بن سلمان في حديثه بُعيد إقرار ميزانية المملكة الشقيقة للعام الحالي بأنه سيكون لدول أوبك+ تصور مستقبلي بشأن أسعار الطاقة يجعلها أكثر استقرارا ... «أطمئن الجميع لن نتردد في معالجة جوانب السوق بما يحافظ على قدرتنا على تنفيذ برامجنا».

والأمور تسير هكذا بالفعل. فمنذ إبريل 2020 بات حالُ أسواق النفط يميل لمصلحة المنتجين. عزز ذلك قرار أوبك + بخفض الإنتاج بمعدل 1.7 مليون برميل يوميًا قبل مراجعته آخر العام. وبرغم كل الضغوط الأمريكية والأوروبية، أثبتت دول أوبك+ أنها سيدة قرارها. ورغم التراجع المؤقت للأسعار في الفترة القريبة الماضية نظرًا لانتهاء فصل الشتاء، إلا أن وكالة الطاقة الدولية تتوقع للنصف الثاني من العام أن يتجاوز الطلب العرض بنحو مليوني برميل يوميا، «لأن توازنات السوق باتت أكثر إحكاما». وترجح المؤشرات توسعًا متزايدًا في الطلب الصيني والآسيوي عمومًا بما يعوض ضعف الطلب الغربي الناجم عن الركود الاقتصادي المتصل. والآن، يعاود سعر البرميل الارتفاع إلى 79 دولارا. وبما أننا على وشك منتصف سنة الميزانية 2023 ومتوسط سعر البرميل حتى الآن 75 - 80 دولارا، فبناء على كل ما أوردناه أعلاه، نستطيع القول بثقة أن اقتراح كتلة «تقدم» البرلمانية باحتساب سعر البرميل في الميزانية بسبعين دولارا واقعي تماما، بل ويضمن تحقيق فائض على ذلك.

الإيرادات الضريبية

تعكس السياسة الضريبية جوهر الموقف من التنمية المستدامة ومن القضايا الاجتماعية. المصدر الطبيعي لإيرادات الميزانية يجب أن يتحقق من مجال النشاط الاقتصادي. أما الميزانية الحالية فتتقاسم مع الناس دخلهم عن طريق تحصيل ضريبة القيمة المضافة التي تزيد على 86٪ من إيرادات الجهاز الوطني للضرائب، بينما الضرائب على الشركات تساوي صفرا. وهذا يحدث بعد أكثر من ثلاث سنوات على قرار منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية بفرض 15٪ كحد أدنى للضريبة على الشركات الكبيرة. وكذلك على الشركات التي تحقق مبيعاتها عبر الإنترنت. كان هذا سيرفد الميزانيات منذها بقرابة نصف مليار دينار سنويا. أضف إلى ذلك إمكانية الضرائب على الثروات غير المستثمرة، والأراضي البيضاء. وجميل أن يؤكد معالي وزير المالية الالتزام بضريبة الشركات، لكنه لم يحدد متى وكم الحد الأدنى. تجب الإشارة إلى أن التأخر في ذلك يعني استمرار خسارة الفرص التي فوتتها ميزانيات 2021 و 2022.

المؤسسات الإنتاجية والاقتصادية التابعة للدولة

في إطار القابضتين «ممتلكات» و»نوغا» لا تتمتع بالإفصاح والشفافية اللازمتين لتبيان مستوى أدائها والقدرة الحقيقية لإسهامها في رفد إيرادات الميزانية. أليس غريبا أن يشكل إسهام هذه الشركات مجتمعة الخُمسَ فقط مما تدره على الميزانية ضريبة القيمة المضافة (100 مليون مقابل 500 مليون دينار)؟!! ألا يقتضي ذلك مراجعة وتدقيق أوضاع هذه الشركات، وهو ما دعت إليه كتلة «تقدم» في مرئياتها؟!!

تضخم أجهزة الدولة ومؤسساتها

ينوخ هذا التضخم بثقله على نفقات الميزانية، حيث استحداث الهيئات النظيرة للوزارات بهدف التسريع بعمليات فك ارتباط قطاعات الخدمات الضرورية بالدولة ونقلها إلى القطاع الخاص، الأجنبي بدرجة أولى. إن تعدد المؤسسات والمسؤوليات يفضي إلى التوسع في توظيف المسؤولين ذوي الرتب العليا والامتيازات

الكبيرة، بينما الدولة متجهة إلى «ضبط نفقات القوى العاملة»، أيْ تخفيض فرص العمل وتقليص الحقوق المكتسبة فيما يتعلق بالوظائف الاعتيادية فيها. من هنا أهمية دعوة كتلة «تقدم» إلى ترشيق أجهزة الدولة مع الإبقاء على وظيفتها كضامن لعمل أكبر عدد من المواطنين.

إذن، فطبيعة ووجهات جانبي الإيرادات والنفقات تفصحان أن مشروع الميزانية سيزيد الفقراء فقراً والأغنياء غنىً. وهنا لنا أن نستشهد بقول بيرني ساندرز، المرشح الديمقراطي المنافس للرئيس الأمريكي الحالي: «لا يمكننا الابتزاز لتحقيق التوازن في الميزانية على ظهور الفئات الأكثر ضعفا وترك الأكثر ثراء وشأنهم.»

تحويل التهديدات إلى فرص

تحدث جلالة الملك في كلمته أمام القمة العربية في جدة عن «بوادر مبشرة لبلورة نظام إقليمي متجدد ومتوازن، والمتمثلة في: استئناف العلاقات الدلوماسية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، واستمرار الهدنة الإنسانية في اليمن والجهود الجادة لحل أزمتها، والعود الحميد للشقيقة سوريا إلى بيت العرب الكبير». إن هذا يعني فرصا واعدة للتعاون من أجل التنمية لصالح بلدان المنطقة وشعوبها. ولا شكّ أنه يجب الحفاظ على مستوى لائق من القدرات الدفاعية والأمنية، لكن على قدر التحديات التي نواجهها. وأن جزءا لا بأس به من النفقات العسكرية والأمنية يجب أن يوجه كي تحتل مملكتنا مكانها المناسب في الحركة التنموية الإقليمية المستجدة. وفي هذا الاتجاه دفعت «تقدم» بمقترح محدد.

المشاريع

والمنطقة متجهة بشدة نحو استيعاب الاستثمارات النوعية فيها، لا تعكس مشاريع الميزانية هذا الاتجاه. هذا واضح من جانبين: غياب الإنفاق الاستثماري لعدم وجود خطة تنموية برؤى استراتيجية عصرية ولا صناديق استثمارية لحفز الحراك الاقتصادي في قطاع الدولة وشراكته التنموية مع القطاع الخاص الوطني والأجنبي وتوجيههما نحو الاستثمارات العصرية ذات السعة التكنولوجية والإنتاجية العالية، وكذلك الاستثمارات في أمننا الغذائي بإدخال أحدث التقنيات في قطاع الزراعة وصيد الأسماك والحرف ذات الصلة.

الميزانية والتضخم

تتحدث المعطيات الرسمية عن انخفاض معدلات التضخم من 3.2٪ إلى 2.5٪ بين عامي 2022 و2023، إلا أن التضخم في أسعار المواد الغذائية والمشروبات

قد بلغ في مارس 2023 مستوى 7.5٪ رسميا. أما تقرير البنك الدولي في يناير 2023 عن الأمن الغذائي في العالم والذي أوردته الصحافة المحلية فقد أدخل البحرين ضمن القوائم الحمراء بعد أن سجلت بين يناير ونوفمبر 2022 ارتفاعا في أسعار الأغذية تراوح بين 5٪ و30٪!! كما أن بذرة تضخم كانت قد أُودعت في أسعار السلع والخدمات الضرورية منذ بدأت الميزانيات رفع الدعم عنها.

أما سعر الفائدة على الدينار الذي تم رفعه عشر مرات خلال العامين الماضيين فقد جعل الفائدة على قروض الناس الأضعف والشركات الصغيرة والناشئة تصل إلى 9٪ أو تزيد. ارتفاع سعر الفائدة يعني ارتفاع سعر القرض، يعني تضخما. ويعني كذلك انعكاسه تضخما على سلاسل الإنتاج اللاحقة. من الصعب أن نعرف القدر الحقيقي لكل هذه الأنواع الظاهرة والمستترة من مستويات التضخم، لكننا نعرف أن حبلها السري مرتبط بسياسات الميزانية التقشفية في الإنفاق الاجتماعي والتوسعية في الإنفاق غير المجدي.

مشكلة الدين العام

حقاً تتحول هذه المشكلة إلى أزمة مستفحلة. قبيل الأزمة العالمية 2008 – 2009 كانت نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي في حدود 10٪، ارتفعت إلى 25٪ عام 2009، إلى 35٪ عام 2010، وهكذا وصولا إلى ما يفوق 100٪ في الأعوام الأخيرة. وطفرت فوائد الدين العام من 80 مليون دينار عام 2007 إلى ما يزيد على 700 مليون دينار عام 2023!! بينما يقول التقرير المرفق بمشروع الميزانية الحالية أن الدين العام هبط إلى المستوى الآمن. هذا في الوقت الذي تشهد الاحتياطات النقدية واحتياطات الذهب لدى المصرف المركزي تراجعا محسوسا!! وفي هذا الصدد من المفيد أن نورد قول السناتور جون فيترمان في الجدل الدائر هذه الأيام حول سقف الدين العام الأمريكي: «لا يمكنني بضمير حي أن أؤيد اقتراح سقف الديون الذي يدفع الناس إلى الفقر».

أما لدينا فلا يوجد قانون للدين العام أصلا، بعد أن باء بالفشل مشروع هذا القانون في عام 2008 حيث كان من الممكن أن يُمكِّن السلطة التشريعية من تحديد سقف الدين العام ورسم ومراقبة سياسة إصدار أدواته وتوازناتها. والآن تعتزم الحكومة بيع صكوك مالية مقومة بالدولار الأمريكي وبعائد 6.87٪ لست سنوات و8٪ لسندات بأجل 12 عاما. يعني أننا ماضون في ارتفاع الدين العام بكل تبعاته الوخيمة.

مرئيات "تقدم" ومقترحاتها كفيلة بعكس اتجاهات الميزانية وجعلها تنموية المحتوى، اجتماعية الأبعاد ومستقبلية الآفاق. وهي تبين أن مثل هذه الإمكانيات متوافرة موضوعيا. أما ذاتيا فهي بحاجة إلى إرادة سياسية نيابية، شورية وحكومية مشتركة.

يمكن الجزم بأن ما حققه نواب الكتلة الوطنية الديمقراطية والنواب الآخرون عام 2002 واسترداد مئات آلاف الدنانير إلى الميزانية وصندوق التقاعد شكل سببًا رئيسيًا لتولُّد القناعة لدى جماهير واسعة وقواها بأهمية المشاركة البرلمانية عام 2006. الوضع الآن بحاجة إلى ذات الموقف من أعضاء مجلسي النواب والشورى، وتجاوب الحكومة طبعًا، لكسر حالة الإحباط لدى أعداد كبيرة من المواطنين.

صـــاحب السعـــادة المـــواطـــن !!

لا أسعد من المواطن البحرينى، لذلك هو يأتي فى صدارة مؤشر السعادة الدولي الذى يرصد ويصنف الشعوب الأكثر سعادة فى العالم وعلى ذمته جاءت البحرين فى المركز الثالث عربياً والأربعين عالمياً فى عام ٢٠٢٠، والمركز الأول عربياً، و٢١ عالمياً فى عام ٢٠٢١، وبالرغم من توجهنا فى العام الحالى ٢٠٢٣ الى المرتبة الثالثة عربياً و٤٢ عالمياً الا أنه يبقينا فى صدارة أسعد الشعوب ..!

لا نعلم إن كان ذلك ذلك التراجع الطفيف سبباً فى هذا التجاهل الواضح لمناسبة اليوم العالمى للسعادة التى تصادف العشرين من مارس، وكأن هناك من استثقل الإشارة اليها هذه المرة، لم نجد من يذكرها او يذّكرنا بها لا من قريب أو من بعيد كما كان الحال فى السنوات السابقة، لا نعلم إن كان ذلك بسبب تراجعنا الطفيف فى المؤشر، أو لأننا لم نعد نشعر بأن للسعادة ذلك الحضور "الباهي" فى واقعنا فى ظل أوجه معاناة نعيشها تجعلنا ننشغل بهمومنا ومشاكلنا إلى درجة تفقدنا احساسنا بالسعادة التى عرّفت الأمم المتحدة مفهومها العام وهو «مدى رضا الشخص عن حياته" من خلال أطر وسياسات عامة للدول فى مجالات التنمية المستدامة، والرفاهية المادية والاجتماعية، والقضاء على الفقر، وسلامة الفرد والبيئة، وتوفير الرفاهية للشعوب»..!

خليل يوسف

للإحاطة والعلم أولاً، وحتى يبنى على الشيْ مقتضاه يمكن التذكير بالمعايير التى اعتمد عليها فى تصنيف الشعوب الأكثر سعادة وهى: الناتج المحلي الإجمالى للفرد، والدعم الاجتماعي، ومتوسط العمر المتوقع الصحي، والحرية فى اتخاد القرارات الخاصة، ومستويات الفساد، كما يمكن التذكير بالمقترحات التى تبنتها الأمم المتحدة لتحقيق سعادة الناس التى وجد بأنها تتمثل فى مستوى الشرعية للأنظمة القائمة، والقضاء على الفساد، والمساواة القانونية لجميع قطاعات المجتمع، والقضاء على كل أشكال الفساد، والتعليم المجاني، وحيوية المجتمع المدني، والعدالة الاجتماعية، وتحقيق معادلة فرص الرفاه الاقتصادي لجميع المواطنين. وللإحاطة والعلم ثانياً، مناسبة اليوم العالمى للسعادة جاءت بمبادرة من بلد هو الأول فى العالم فى اعتماده لمؤشر السعادة الوطنية، ويعترف بسيادة السعادة على الدخل القومي وما يحقق إسعاد مواطنيه منذ اوائل السبعينات، واعتبر شعبها المكون من 750 الف مواطن من أسعد الشعوب، والسبب هو السياسات الحكومية المبتكرة التى تعتمد على قياس مكونات السعادة من خلال الحكم الرشيد، ومستوى الصحة النفسية والبدنية، والتعليم، وحيوية المجتمع، وحماية الأرض والمحميات الطبيعية بما يخدم أهداف التنمية المستدامة، مع ملاحظة أن هذه التنمية لا ترتبط فقط بالمؤشرات الاقتصادية بل يضاف إليها الفلسفة الشعبية القائمة على التفكير فى الموت، وهى الفلسفة التى قالت عنها ليندا كينغ مؤلفة كتاب "دليل ميداني للوصول إلى السعادة" تدفع الى اغتنام كل فرصة لتحقيق الرضا عن الذات والعنفوان ومن ثم السعادة، هذا هو حال «مملكة بوتان» التى تقع فى الطرف الشرقي من جبال الهيمالايا.

وفى ضوء ما يعلمه الجميع من أن مناسبة اليوم العالمى للسعادة جاءت هذا العام فى ظروف وأوضاع مختلفة على كل الصعد عصفت بالعديد من الدول، وهى باتجاه ان تعصف بدول اخرى، زلازل، مؤامرات، فقر، منظومات فساد، تحديات اقتصادية وبيئية، اختلالات وتحولات اجتماعية وسكانية، وهموم مجتمعية، ومساس بحقوق الانسان، بطالة، ومشاكل وتحديات اخرى تلوح فى الأفق، ومعادلات وحسابات وتعقيدات وتحالفات ومتغيرات جديدة تتشكل واخرى تلوح فى الأفق وكل هذا الذى يجرى يدخلنا فى عالم جديد مفتوح على ما لانعرف ..! فى ضوء ذلك ووسط الكثير من الهواجس ومسببات القلق لازلنا نجد ولله الحمد من يضع شعب البحرين فى صدارة أسعد شعوب العالم، أليس هذا ما اكده طيلة سنوات مضت المؤشر العالمى للسعادة ولا زال يضع البحرين فى الصدارة، فى المركز الثالث عربيا والاربعين عالمياً فى عام 2020، والمركز الأول عربياً و21 عالميا فى عام 2021، وفى المرتبة الثالثة عربياً و42 عالمياً فى عام 2023، ولا نعلم ما اذا كان ذلك التعليق الساخر لأحدهم فى أحد المواقع الإليكترونية فى محله أم لا، هو يرى أن تلك المراكز المتقدمة لنا فى السعادة لم تأت من فراغ بل هى حصيلة جهود وسياسات ومشاريع صبت فى اتجاه تدبير السعادة دون منّة او ارتهان وجعلها على الدوام غاية قصوى!

وعليه فان المواطن البحرينى السعيد يعيش واقعاً يجعل السعادة حقاً أساسياً من حقوقه، واقعاً يبعده عن الدوران حول مشاكله دون المساس بجوهرها، لا يدور مثل غيره فى بلدان اخرى فى حلقة مفرغة لا تحتمل، و لا يعاني من التوتر والقلق والإحباط او ما يبعث على الضجر، ولا يجد امامه سوى مبادرات تتوالى لتجعله سعيداً بأكبر قدر من الحكمة والشجاعة والارادة، كما انه وفوق كل شئ محظوظ بوجود طاقم من المسؤولين يحملون رؤية ووضوحاً للمستقبل بكل تحدياته وأولوياته ومتطلباته، مسؤولين يعرفون كيف يكونون بعيدين عن تجاذبات المواقع والمصالح الخاصة المتضاربة، لا هم لهم الا سعادة المواطن وراحته وعدم تنغيص حياته، والإنصات الى رغباته، يجندون أنفسهم وأجهزتهم وخبرائهم ومستشاريهم وكل إمكانياتهم لترجمة ما يحقق للمواطن الرخاء والتقدم وتوفير كل مقومات الراحة له .. أبوابهم دائماً مفتوحة لسماع شكاوى الناس، إن أخطأوا اعترفوا بالخطأ، وان قصّروا عالجوا التقصير، وإن اكتشفوا مقصّراً او فاسداً او فساداً قاموا بالواجب، يواجهون حقائق الواقع بكثير من الجرأة والموضوعية، ويعيدون حساباتهم على أساسها، لا يعيدون انتاج الماضي، ولا ينتظرون أوامر او توجيهات من فوق حتى يقوموا بواجباتهم، ناجحون بامتياز فى تحمل مسؤولياتهم، ولم يتبعوا ساسة ضخ تصريحات وأقوال وبيانات تقول شئ والواقع شئ آخر، او بوعود ومشاريع لاتتحقق ..!! يضاف إلى ذلك أن المواطن البحرينى محظوظ حين يجد أن كل الأطراف والقوى ومكوّنات المجتمع يعملون على الخيار الوطنى الديمقراطي البعيد على أن يكون شكلاً أو هبة أو منحة من أحد، بل الخيار الذى يعي الجميع على وعي بحقوقهم الأساسية التى لاغنى عنها حقوق دائمة ومستمرة، وقواعد وتقاليد، تعنى الجميع وتطبق على الجميع دون تمييز، كما هى ممارسة يومية فى التعامل تتناول جميع مناحي

الحياة، بدءاً من أصغر خلية، وحتى قمة السلطة، من أبسط القضايا حتى أكبرها وأخطرها، الخيار الذى يعنى ضمن ما يعنيه أن المواطنين متساوون فى الحقوق والواجبات، وأن السعادة من اهم حقوق المواطنة ، معنى وهدف وغاية.

والمواطن البحرينى محظوظ لانه لم يجد باطل يعطل الحق بقوته وحق لايجد من يحميه ، كما لم يجد امامه صنّاع أوهام يطلقون العنان للشعارات ويخلقون تضخماً فى أقوال تتردد على مسامعنا وكأن هذه الأقوال هى الفعل، كما لم يجد من يرتكب الحماقات بذريعة المصلحة العامة، ولا من لا حدود للقسوة عندهم فى نفي الآخر، كما لم يجد يوماً اي نوع من انواع خطابات الكراهية من اي منبر من منابر الرأي ممن تتنافس على الرداءة فى المعنى والاسلوب والهدف، كما لا يجد فى مناخات هذا الوطن وجوداً لنفس طائفي او مذهبي، ولا لمستثمرين من نوع آخر كل همهم أن تنتصر الطائفية وتتفوق المذهبية وتتراجع المواطنية فى سبيل مصالح مكاسب من أي نوع.

كما ان هذا المواطن محظوظ بوجود نواب لا هم لهم الا رفعة العمل البرلماني شأناً ومقاماً، نواب يحاسبون ويراقبون ويتصدون بكل جرأة وثبات لقضايا وملفات جوهرية مثل الفساد، البطالة، التجنيس، المتغيرات فى التركيبة السكانية، أوضاع المتقاعدين، الوضع الاقتصادى، ويمارسون دورهم الرقابي والتشريعي على اكمل وجه كفريق واحد، متجانس لا يتردد او يتأخر أو يراوغ فى التعاطى الأمثل مع تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، كما لم يجد نواباً وهم فى حالة ركود غير فاعلة، كما لم يجد نواباً يظهرون وكأنهم ناطقين رسميين بإسم الحكومة وكانهم يمثلونها اكثر من تمثيلهم للشعب، أو نواباً يتكالبون على اقتراحات شعبوية لا يؤخذ بها، او يصدرون تصريحات صحفية لا يقولون فيها شيئاً مفيداً، أو نواب لا يُعرف عنهم إلا الصمت المطبق ايماناً بلغة الصمت ويعتبرونها أرقى وسيلة للرد على كثير من الكلام، ومواقفهم دوماً معتبرة يشهد لها ويشيد بها الجميع، الحمد لله انه لم يمر على المواطن اي من هذه النوعية من النواب!

والمواطن البحرينى محظوظ من كثرة النشطاء الذين نجد لهم حضور فى كل شأن ومجال وميدان، ناشط حقوقى، ناشط سياسي، وناشط اجتماعى، وتارة بصفة مفكر أو خبير استراتيجي او محلل سياسي ...الخ، صفات تسبق اسماؤهم، لم يفعلوا ذلك رغماً عن أنوفنا، بل فعلوا ذلك بكفاءتهم، بقدراتهم، بتفاعلهم مع مشكلات الوطن، بثباتهم على قناعات، ولم يجروا وراء مآرب دفينة، ولم يركب أي منهم بعض الأحداث والوقائع سعياً وراء مصالح أو حسابات من يحركون او يتحركون خلف الستار، لم تحركهم انتهازية أو وصولية، لم يتاجروا بشعائر التغيير والوطنية، لم يمارسوا الكذب، والدجل، والتجنى، وتزييف الحقائق، لم يسعوا الى اي حماقات، أو تأجيج الفتن، ولم تنحدر عندهم الممارسات السياسية الى درك مخجل، ولم يحاولوا أن يسوقوا الناس إلى متاهات التشرذم والاحتقان، احترموا الاختلاف وناضلوا من أجل حرية التعبير، ولم يكونوا يوماً ممن يعتقدون ان حياتنا بدأت بهم ومعهم، ولم ينخرطوا فى ثقافة البطانة والحاشية، الالتزام الوطنى عندهم فوق كل شئ، وحاضراً وعلى الدوام!

والمواطن البحرينى محظوظ و سعيد لأنه لا يرى فى بلاده ما يحدث فى بلدان أخرى، بلدان لا تسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية، وكل شئ عندها على أحسن ما يرام، وتغرق فى الأمور الصغيرة وتوافه الأشياء ولا تحاول الاقتراب من الأشياء الجوهرية لأنها مع السهل والسريع، والمشاكل التى تطرح او تفرض نفسها عندهم يتم التصدي لها بسطحية او لا تدعوا الى الاهتمام بها كما يجب، أو فى أحسن الأحوال تبحث من خلال مأدبة غذاء او عشاء او حفلة كوكتيل ، بلدان اخذتها المظاهر حتى ضعفت لديها الرؤية وضاعت فى متاهات لا يعلم معها احد أين البداية وأين النهاية، وباتت تواجه انسداداً متلفاً للمستقبل.

والمواطن البحرينى محظوظ لأنه لا يجد أمامه من يتحملون بصبر ومشقة عناء العيش وضنك الحياة، او اناس لا يصل اليهم قوتهم الى بيوتهم الا بعد ان يختلط بالعرق والجهد الشاق، فلا بطالة، او عمالة وطنية برواتب متدنية، ولا خريجين واصحاب تخصصات عاطلين، ولا آمال تنكسر، ولا طموحات مهددة بالسقوط ، ولا صرخات تذهب سدى، وكأنهم يعيشون الهواجس فى زمن اللامسؤولية، ولم يجد كما حدث فى بلدان اخرى عمالاً فى يوم عيدهم العالمى يرفعون شعار "الوطن للأغنياء والوطنية للفقراء"، وشعار "الفساد أساس الملك" كما حدث فى لبنان !

والمواطن البحرينى محظوظ جداً لأنه لا يعيش كما يعيش غيره فى تلك البلدان وسط أصحاب سعادة أقلية واصحاب تعاسة أكثرية، و لايعيش وسط تجار سياسة، ولا تجار دين، ولا تجار فكر ومبادئ، ولا يعيش وسط أكاذيب او يتحرك ضمن فبركات يريد لها البعض أن تسود، كما ولله الحمد والمنة لا يعيش أو يتعايش مع منطق الأرجوحة الذى يجعل كل السبل مقفلة وكأنها وصلت الى تيه لا يظهر عليه أفق، ولا يجد تشوهات هنا او هناك تزحف عليه او مخاطر تفترس القيم والمبادئ والأوطان ، حيناً بلباس الطائفة والمذهب ، وحيناً باسم المصلحة الوطنية، وحيناً بذريعة الاصلاح وهلمجرا، كما انه محظوظ لانه بمنأى من وجود ظواهر صوتية ضررها اكثر من نفعها، ومحظوظ لأنه لا يجد من يرتكبون الفساد ومن يقودون إلى الخيبات والانتكاسات وهم يساءلون أو يحاسبون أو يزدادون ثباتاً فى مواقعهم أو يقفزون الى مناصب أعلى، كما لا يجد هذا المواطن مسؤولين يعتبرون من ينتقدهم أشخاصاً غير مرغوب فيهم وأحياناً اعداءاً يجب إزاحتهم..!

وعليه فإن المواطن بعيداً عن أية تأويلات هو حقاً وفعلاً صاحب السعادة بأكثر الصيغ صدقاً وابداعاً، وطالما ان مؤشر السعادة العالمى يؤكد على الحضور الباهر للسعادة فى واقعنا فإنه يتوجب على مواطن أن يكون مهيأ كفاية للتمرس بما يحقق له مزيداً من السعادة، وأن يحرص على امتلاك الكفاءة التى تجعله قادرًا على مواجهة من يريد أن ينغص علينا سعادتنا أو يجعلنا تعايشنا مع السعادة تعايش هش مشوب بالشك والحذر، واخيراً نسأل: هل هناك من يشك بأننا فى صدارة الشعوب الأكثر سعادة ...؟!

بصراحة

قضـايا وأحـداث سـاخنـة

فاضل الحليبي

البحرين

لازال الوضعُ المعيشيُّ يشكِّلُ الهاجسَ الأولَ لدى المواطنين، وقلقاً دائماً، تتداخل فيه هذه العناصر وبشكل أدق هذه المتطلبات الرئيسية (التعليم، العمل، السكن، الصحة، الزيادة السنوية للمتقاعدين، تسديد الديوان، هذه التي تشكل القلق لدى المواطنين وتحديداً أصحاب الدخل المحدود ومعهم مايعرف بالفئة أو الطبقة الوسطى إن وُجِدَت، إذا لم تتلاشَ وتدخل في تصنيف أصحاب الدخل المحدود، واقعٌ مؤلمٌ للمواطنين وأسبابه عديدة سبق أن كتبنا عنه في مقالات سابقة، ولكن كارثة التجنيس السياسي واحدة من أهم الأسباب، لأنها تتعلق بتوفير الخدمات الأساسية التي تمّ ذكرها سلفاً، مَنْ اتَّخَذَ قرارَ التجنيس كان همُّه تحقيقَ أهدافه المحددة مسبقاً، ليس مهماً بالنسبة له حدوث أزمة أو تفاقم الوضع المعيشي في البلاد، ولا يهمّه لا حاضر ولا مستقبل الوطن، وعندما احتاجوا إلى سيولة نقدية مالية لجؤوا إلى فرض الضرائب والرسوم المالية على المواطنين.

المواطنون ليسوا شركاء في القرار السياسي، والسبب واضح ؛ مجلس النواب صلاحياته منقوصة، فالناس تحمِّلُ أعضاءَ مجلس النواب كل ما تعانيه من أزمات ومشاكل، وكأن الحكومة باعتبارها السلطة التنفيذية غير مسؤولة ما آلت إليه من ظروف وأوضاع صعبة، تحول الموضوع لدى البعض من المواطنين إلى كره للمجلس والمطالبة بحلّه وتوفير أمواله للميزانية العامة، والسلطةُ تسمع وتتفرج على هذا الإخراج الدرامي، تعرف الواقع وتستطيع تغييره، ولكنها لا تعمل من أجل التغيير المنشود، ولديها ما تقوم به إذا أرادت، وبالأخص في قضايا التصدي إلى آفة الفساد، وما أدراك ما الفساد، تكفي تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية على مدار عشرين عاماً تصدر، باحت الأصوات وهي ترفع عالياً كل سنة، ليس من أجل السماع والسكوت، من أجل المساءلة القانونية وتنفيذ ما جاء في تلك التقارير، هذا شيء من الحل، ستظل السلطة التنفيذية تتابع ما يطرح في السوشال ميديا من الأوجاع والآلام، وتتعاطف مع المواطنين لإيجاد حل لهذا الموضوع أو ذاك أو تأجيل آخر، وهكذا تتعاطى مع واقع الناس المؤلم بالحلول المؤقتة" المسكنات للألم"، والحديث يطول.

العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة

فجر يوم الثلاثاء 9 مايو 2023، جرى العدوان الصهيوني على قطاع غزة، قُتِلَ وجُرِحَ العشرات من الفلسطينيين بمافيهم قادة من المقاومة الفلسطينية، في عدوانه الإجرامي الذي استمرَّ لمدة خمسة أيام متتالية قُتِلَ فيه الأطفال والنساء والشيوخ وهُدِمَت البيوت على أصحابها، واستخدمت الأسلحة المحرَّمة دولياً بالتواطؤ مع الإمبريالية الأمريكية وصمت عربي رسمي، فقط شجب وإدانة، فالمطبعون ماضون في قطار التطبيع، لا يخجلون ولن ينزلوا في المحطات القادمة .

واقع عربي رديء، لم يتوحد العرب في إسقاط المشروع الصهيوني، بل

البعض منهم أصبح جزءاً منه، هدفه واضح تدمير البلدان العربية من خلال المخططات والمشاريع الصهيونية تُنَفِّذ أجندتُها فيها تحت غطاء شركات أو مؤسسات تجارية وصناعية وبأسماء أوروبية وأمريكية وفي البلدان العربية المطبعة تتعامل تلك الشركات بأسمائها الصهيونية، والشعب الفلسطيني الشقيق يُقتل ويُعتقل ويُحرم من حق العودة إلى فلسطين، قبل أيام مرَّت ذكرى النكبة في فلسطين قبل 75 سنة بالإعلان عن قيام الكيان الصهيوني في 15 مايو 1948، شُرد وهُجر الشعب الفلسطيني في الشتات القريب والبعيد، وقدم الشعب الفلسطيني قوافلَ من الشهداء والأسرى والجرحى من أجل حريته واستقلاله الوطني طوال تلك السنوات ولازال مستمراً، بإرادته ووحدته سوف ينتصر ويؤسس الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

حرب الجنرالات على السلطة في السودان

السودان منذ الاستقلال الوطني في الأول من يناير عام 1956، حتى هذه اللحظة ، لم يستقر بسبب الانقلابات العسكرية، ولكن الفترة الأطول في الحكم العسكري "الجنرال المخلوع البشير"، جاء انقلاب البشير والأخوان المسلمين في 30 يونيو سنة 1989، ثلاثين سنة حكم السودان باسم جبهة الإنقاذ، وحكم العساكرُ السودان طوال تلك السنوات ال 67، وسرقوا خيرات وثروات الشعب السوداني، وقسَّموا الوطن، وساندوا ودعموا القوى المتطرفة "الإسلامية " ضد القوى المدنية والديمقراطية، وساهموا في بروز النزاعات القبلية والمناطقية والعرقية، ونسجوا علاقات مشبوهة مع القوى الإقليمية والأجنبية بما في ذلك الكيان الصهيوني، كان همُّ الجنرالات مصالحَهم، حتى لو كانت على حساب السيادة الوطنية للسودان، ليس همهم بناء السودان ومنذ أكثر من شهر ونصف يستمر الصراع على السلطة بين جنرالات السودان يقتلون الشعب السوداني ويدمرون السودان من أجل السلطة حتى لو ذلك كان بالنار والحديد سيواصلون القتال بينهم، بكلمات لم يبنوا وطناً اسمه السودان.

خطوات في سبيل إحياء المشروع الإصلاحي

قاسم الحلال

ليست هي الشجرة التي تحمل البلبل..
هو البلبل الذي يحمل الشجرة
إلياس شاكر

حينما نكتب قد نكون نكتب معلومات قاصرة في الفهم، وقد تكون كتاباتنا ركيكة التركيب، لكننا نحاول بقدر الإمكان أن نوصل أهدافنا التي قد تكون كتابة شافية تمسك وتلامس مبتغى ما يريده السواد الأكبر من شعبنا، وعسانا نستطيع أن نكون سنداً لمتطلبات الشعب المغلوب على أمره الذي لاحول ولا قوة له.

نحاول قدر الإمكان أن نكتب ما يفهمه عامة الناس، دون التفلسف والترفع عليهم. إن توعية العامة من الناس التي باتت تتفهم وتتحسس مكامن الخلل لأن الوجع أصابها في مقتل، حيث كانت تترجى تطوراً وانتعاشاً لبنيتها التحتية وخصوصاً بعد أن تلقت الوعود منذ ميزانية 2007–2008 التي تعد (الأشمل) في تاريخ البحرين تقريباً، حيث كانت الميزانية حسب الوعود تنصب على الخدمات الأساسية حينما أكد وزير المالية السابق الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة، إن التوجهات ستصب اولاً في الإسراع في تنفيذ المشاريع الاسكانية والتعليمية والصحية والبطالة والتدريب ودعم الصناعات الصغيرة والمتوسطة والتركيز على مشاريع البنية التحتية من طرق وكهرباء وماء وصرف صحي ورفع كفاءة الجهاز الحكومي، ليتفاجأ المواطن اليوم بهذا الوضع من زيادة في الضرائب وسلب مكتسبات الشعب ويصل به الوضع إلى الحضيض في التوسع في جلب الأيدي العاملة بوتائر متسارعة بجماعات .. وبصورة غريبة وغير مدروسة وحرمان الشعب وبالذات الطبقة العاملة من حقوقها المكتسبة وأبرزها زيادة المتقاعدين 3٪، وكلما استنكر الشعب لهذه التصرفات ازدادت في سن قوانين مستجدة وعشوائية دون مبالاة للاستنكارات .

نبقى نستمر في المطالبة بالاعتماد على النهج الديموقراطي وهي الخطوة الأسلم لدفع عجلة الدفاع عن مكاسبنا المشروعة، والنضال في سبيل تفعيل القوانين والملفات التي لاتزال مفتوحة، ننتظر من الجهات المعنية تفعيل قوانين الميثاق والمشروع الإصلاحي على الأقل.

١- البعد الديموقراطي

في عالمنا لا توجد ديموقراطيات، بل ديموقراطية واحدة، وهي التي تقدّم خدمة احتياجات الناس، وواهم من يسمى الديمقراطية ديموقراطياً، حيث أن نجاحات الشعوب لا تأتي إلا عبر من يحقق آمالها، مبدداً آلامها، حريصاً على مصالحها، ولم يحدث تغيير إلا بحل مشاكلها وتلبية احتياجاتها، وهي الطريقة المثلى للنضال السلمي من أجل بلوغ الأهداف التي تسعى اليها الشعوب بتضحياتها.

إننا نستند على الخبرات التي اكتسبناها من برلمان السبعينيات من القرن الماضي، ولو يتفكر المستثمرون لجهد الطبقة العاملة في رعاية العمالة المواطنة لحصلوا على انتاج غزير ووفير وسليم في آن واحد للعملية الإنتاجية السلسة، لكن هؤلاء المستثمرين وأصحاب المصانع والمؤسسات دوماً ينظروا ويفكرون في العملية الربحية المجردة، متناسين الضائقة المعيشية التي يعاني منها العمال، الذين يبذلون جهداً في سبيل رفع الاقتصاد الوطني نحو وتيرة التطور وزيادة الإنتاج، وذلك لأجل تنمية وبيئة اقتصادية سليمة بمسار طبيعي سلس.

وهذا الدور لا يأتي الا عبر قيادة واعية للكادر العمالي المثقف، من هنا نصر على افساح الدور الفاعل للأنشطة الثقافية العمالية، ونستنكر وضع القيود والتضييق على الأنشطة الثقافية للمؤسسات النقابية ومنتدياتها التي نحرص على إعطائها أهمية جادة ومرنه فعلية عن الأسس الديموقراطية.

وفي البلدان المتطورة التي تدرك هذه الحقيقة تهتم بهذا الجانب، لكونها مدركة ومؤمنة بأن هذه الخطوات لا بدمنها لأنها تدفع لمزيد من التنمية، وبهذه التغييرات تكتب العملية الإنتاجية تطورات جديدة فريدة من نوعها، ونحن كطبقة عاملة نعي تماماً لاتباعنا سياسة تخدم تحالف أوسع، وذلك خدمة للنماء والتطور الاجتماعي في كل قطاعاتنا بفاعلية سليمة.

يجب أن نستمر كما بدأنا وننشط أينما نكون بشتى الطرق والسبل المتاحة لنا، ونحن متأكدون بأنه كلما كانت خطواتنا سليمة وعقلانية ستكون مقبولة عند المسؤولين وأرباب العمل الذين يفكرون تفكيراً سليماً.

إن الطبقة العاملة تسعى دوماً إلى نهج متطور حضاري راقي من هذا الشكل وكانت فعلاً تسير على نهج يكفل لها العيش بأمان، حيث كانت الرتابة والاجتماعات قائمة لأجل وضع الحلول والأساليب المثلى، وتم تنفيذ نجاحات ومكاسب كثيرة بين أطراف الإنتاج لكن الجشع والانفراد بالمصلحة عمت قلوب الكثير من أرباب العمل، حيث لجأت إلى تسريح العمال وضرب كادرها النقابي، والاحتماء بالجانب الأمني الحكومي، وهذا أدى إلى وضع اقتصادي متردٍ ومزرٍ صعب، كلف الكثير من المآسي للطبقة العاملة.

يتحتم على طرفي الإنتاج، وزارة العمل والشركات مراعاة طرف الإنتاج الثالث (الطبقة العاملة)، قبل فوات الأوان، لأن الوضع لا يحتمل تطور التردي المستمر، فلا بد أن ينفجر الوضع في حالة ترك الحبل على الغارب، وهذه حقيقة حتمية، لا يمكن التغاضي عنها، فعلى الشركات التأمل ملياً وقياس الأمور من كل الزوايا، فلن يمر استمرار النهب السافر بدون حساب.

٢- الفهم الطبقي

في هذه المناسبة العظيمة التي تتعاظم كلما ازداد الاستغلال والنهب للطبقة العاملة، نحيي هذه الذكرى مصرين ومؤكدين على انتزاع حقوقنا العادلة، التي تستمر البرجوازية والإمبريالية في نهب واستغلال قوة عملنا، حيث يزدادون في استغلالنا كلما ازدادت قيمة قوة عملنا، نحيي هذه الذكرى من كل عام لنزيد ونقوي من عزيمتنا ضد كل من يعلن الحرب على طبقتنا العاملة مهما تلوّن ومهما كانت مبادئه ومهما رفع من شعارات لا تصب في صلب الدفاع عن الكادحين في وطننا الحبيب.

اليوم ما علينا الا أن نرفع من مستوى شعبنا ثقافة ووعياً، وذلك في سبيل مسيرتنا النضالية التي لا تتوقف عجلة تقدمها نحو الأمام إلا عندما تتوقف عملية استغلالنا ونهب حقوقنا ومكتسباتنا التي اكتسبناها بعد نضال مرير بتضحيات جسام، حيث أننا ندرك تماماً أساليب الالتفاف، ومن ضمنها استحداث خطوات مستجدة تعاطياً مع الظروف الراهنة واستغلال الحلقة الأضعف، فهذه المسلكية يجب أن تدرك أسبابها، بتمعن في القراءة الجديدة، حيث الاقتصاد الإمبريالي يتعرض اليوم لضربات قد تصيب مواقعها هنا كونها ليست بمعزلٍ عن الارتباط الاقتصادي بعجلة الاقتصاد الرأسمالي عاجلاً ام آجلاً.

اليوم بدأ العدّ التنازلي لانهيار الترسانة المالية والاقتصادية والعسكرية في أتون البيت الرأسمالي، فأي أساليب لا تجدي نفعا إلا الاحتكام لعين العقل والكفّ عن المغامرات الفردية، وما يحدث على الساحة الدولية من اضطرابات والإصرار على الدفاع عن حقوقها الا بارقة أمل لنا، وهاهي فرنسا وبريطانيا وألمانيا وغيرها والحبل على الجرار، وبعد ما رأيتم هذا الحراك ولم تحركوا ساكنا، بل لازلتم تتخبطون، لا أعتقد أنكم تقرؤون الاحداث جيداً واعتقد انكم ستنجحون في استمرار عدم الالتفات لما يجري عالمياً، وما ستتمخض من تداعيات وتأزمات عالمية وإقليمية ومحلية.

(قف)

حريّة الصحافة في بلاد العرب

حرية الصحافة هي امتداد للحريات السياسية والثقافية في المجتمع. وبما أن الحريات السياسية والثقافية في بلاد العرب محدودة، فهذا يعني أن الأنظمة العربية تريد صحفيين مؤيدين ومدافعين عما يتخذ من قرارات مها كانت. وبمجرد ما يتخطى حدود التأييد ويبدأ في الانتقاد والمعارضة يتعرض لمشكلات ومضايقات من طرف أجهزة السلطة. حيث أن حال الصحافة العربية اليوم من حيث مستوى الحريات ليس جيداً في معظم الوطن العربي. وقد أظهر تقرير أصدرته منظمة "مراسلون بلا حدود" حول مؤشر حرية الصحافة لعام ٢٠٢٣، والذي يقيس أوضاع الصحافة في ١٨٠ دولة في العالم، تراجعاً ملحوظاً لحرية الصحافة في الدول العربية، حيث جاء أغلبها في مراكز متأخرة بذيل التصنيف، وهو ما يؤكد الكراهية والعداء لحرية الصحافة ولكل الأصوات الصحفية الحرة.

فهد المضحكي

أصبحت فوبيا وسائل الإعلام واضحة جداً، لدرجة أن الصحفيين يواجهون المضايقات ويتعرضون للسجن التعسفي. فلم يعد ينظر للإعلام باعتباره جزءاً من الدعامة الأساسية للديموقراطية، بل خصما يظهرون نفورهم منه علنا. ويمكن القول في بلاد العرب تبدو مأساة الصحفيين أكبر منها في أي من دول العالم، إذ أن المهنة أصبحت في أغلب الدول العربية جالبة لكل المتاعب من سجن إلى اعتقال وصولا في بعض الأحيان إلى القتل. وتتنوع مصادر الضغوط التي يتعرض لها الصحفيون في العالم العربي بين ضغوط حكومية من خلال سعي السلطات الحكومية إلى سن قوانين تقيد حريتهم. تراجع حرية الصحافة في معظم الدول العربية التي تعادي حرية التعبير وتصادر الرأي وتفرض عليه قيوداً غير مبررة لا تتناسب مع التطورات التاريخية التي يشهدها العالم في عصر عولمة وسائل الإعلام في ظل ثورة تكنولوجيا المعلومات.

حقاً، أن حماية قيم المحاسبة والمساءلة ورقابة النخب الحاكمة جزء محوري من عمل مؤسسات الدولة الحديثة، إلا إن حماية هذه القيم لا يقتصر على أجهزة الرقابة المالية والإدارية والبرلمانية فقط، بل إن وسائل الإعلام التي تتمتع بقدر عقلاني من حرية التعبير يمكن أن تصبح بالفعل وسيلة رئيسية للشفافية ولمحاسبة المسؤولين أمام الجماهير. فالصحافة كما تراها المؤسسات الصحفية والإعلامية الديموقراطية وسيط حيوي بين المجتمع والنظام السياسي يضمن التواصل البناء بينهما ويؤمن درجة من الشفافية.

ونظرا لهذا الدور المميز للصحافة والإعلام يطلق عليها البعض "السلطة الرابعة ". إن حرية الصحافة، كما يراها البعض، تتعرض للهجوم في كل ركن من أركان العالم، وأن الحقيقة مهددة بالمعلومات المضللة، وخطاب الكراهية وجميعهما يسعى جاهداً إلى طمس الفرق بين الحقيقة والوهم، وبين العلم والمعرفة والمؤامرة، لذا؛ يجب أن يسمع لصوت الصحفي الحر الذي يتمتع بالمهنية والوطنية، ووضع نهاية للأكاذيب والمعلومات المضللة، ووقف إستهداف الحقيقة.

تلعب الصحافة دوراً مهماً في الحياة السياسية والدبلوماسية والثقافية. إذ أضحى ما تتناوله الصحف المتنوعة من معلومات حول الشعوب والأمم الآخرى، مصدر جذب هام للباحثين والساسة ورجال الفكر، فضلاً عن إسهامها في تشكيل الرأي العام العالمي حول القضايا الدولية الراهنة. يقول الأستاذ الجامعي الجزائري زنوجي محمد الأمين: تُعد حرية الصحافة أو حرية وسائل الاتصال هي المبدأ الذي يشير إلى وجوب مراعاة الحق في الممارسة الحرة للاتصال والتعبير عن الرأي من خلال كافة وسائل الإعلام المتاحة، المطبوع منها والإلكتروني، وعلى وجه الخصوص المواد المنشورة. تتضمن هذه الحرية غياب التدخل المفرط للدول، وحمايتها بالدستور والقانون. كما تعتبر حرية الصحافة مؤشراً هاماً لمستوى الأداء الديمقراطي والحقوق والحريات في دول العالم، بحيث تلعب الصحافة دوراً مهماً في توفير المعلومات واتاحتها أمام الشعوب والأفراد. الأمر الذي يساهم في تعزيز الشفافية بين الحكام والمحكومين وإشراك المجتمعات في الرقابة على أداء الحكومات، والدفاع عن الحقوق والحريات، ومكافحة الفساد. كما تعتبر حرية الصحافة من الحريات العامة التي تتسع وتضيق في كل مجتمع، بحسب ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، حيث أنها تعتبر من أهم صور حرية الرأي والتعبير، وتؤكد على حق المواطن في الحصول على المعلومات من مصادرها، وحريته في تداولها بكل الأساليب المشروعة والممكنة.

تبقى في النهاية قضية على جانب كبير من الأهمية تستدعي وقفة، وهي كما يقول أحد الباحثين المتخصصين في الشأن الإعلامي، كلما أثير موضوع حرية الصحافة اختزل الأمر في موقف السلطة السياسية من هذه المسألة، ويقع التركيز على الاجراءات التي من المفترض أن تتخذها السلطة لتأمين حرية الصحافة، ويتم بذلك إغفال حقيقتين في غاية الأهمية، أولهما إن السلطة السياسية مهما كانت طبيعتها تفضل الأصوات المؤيدة والمتناغمة مع سياستها، وثانيتهما أن الحرية إذا كانت منحة وهبة يمكن أن تزول بنفس الطريقة التي جاءت بها فهي دوما معرضة للزوال والتراجع عنها إذا أصبحت تشكل خطراً على شرعية السلطة وعلى مصداقيتها، وبالتالي فإن حرية الصحافة مثل الحرية في المجالات الأخرى يجب أن تكون نابعة من المجتمع، أولاً بتحققها في مؤسساته المدنية، وثانيا بفرضها سلمياً على السلطة السياسية.

حرية الصحافة تتوسع وتتقلص بحسب الجهد الذي تبذله والإصرار الذي تبديه القوى الحية في المجتمع، فإذا لم تكن عندنا في الوطن العربي صحافة حرة فليس بسبب أنظمتنا السياسية فحسب، ولكن لأن إنتهاك حرية الصحافة لم يصبح أمراً مستهجناً ومرفوضاً، الصحافة في عمومها ملك للرأسمال المرتبط بأجهزة الدولة، والصحيفة التى لا تسعى إلى تجنب غضب السلطة لا تستطيع أن تستمر لأنها لاتجد المجتمع الذين يحميها، فحرية الصحافة لا تتمثل في الضمانات الشكلية ولكن بالحس العام الذي تعبر عنه مؤسسات المجتمع المدني تجاه كل عملية تضيق على حرية التعبير، فلو كانت السلطة السياسية متأكدة من أن ما تتخذه من إجراءات تعسفية ضد الصحافة وضد كل أشكال التعبير ستجد رفضاً شديداً من جهة واسعة تضم مثقفين ومفكرين وكل ذوي الشأن والنفوذ فلن تجرؤ على ذلك.

هل باستطاعة الشركات العالميـــة مغـــادرة الصيـــن

حسين الشويخ

شكلت الصين مجمعًا صناعيًا فريدًا، يكاد يكون من المستحيل استبداله.

في الأشهر الأخيرة، أعلنت شركات كبيرة متعددة الجنسيات مرارًا وتكرارًا عن نقل الإنتاج من "مصنع العالم" – الصين – إلى مناطق أخرى بسبب تفاقم الوضع الدولي. تبين أن تحقيق مثل هذه النتيجة هو أكثر صعوبة، وذلك ببساطة لأنه لا توجد دول مناسبة لتحل محل جمهورية الصين الشعبية.

بدأ الحديث عن "فصل" الاقتصاد الصيني عن بقية العالم لأول مرة خلال أزمة عام 2008. في ذلك الوقت، كانوا يفكرون بشكل أساسي في الاقتصاد الأمريكي، الذي اضطر، بسبب مشاكل الديون وميزان المدفوعات والأزمة المصرفية، إلى إعادة رأس المال بمجرد سحبه إلى الصين.

لم يحدث هذا، على الرغم من عودة بعض الإنتاج ، وليس في "حزام الصدأ" الأمريكي التقليدي ، وهي منطقة صناعية تاريخية ، ولكن في الولايات الجنوبية مثل جورجيا وتكساس. على العكس من ذلك ، في السنوات التالية، نمت التجارة بين الصين والولايات المتحدة بسرعة، وزادت الشركات الأمريكية من وجودها في الصين. لا يوجد شيء يمكن قوله عن الأوروبيين: في عام 2010، تضاعف حجم الاستثمارات من الاتحاد الأوروبي إلى الصين لتصل إلى 140 مليار يورو، وكانت الاستثمارات في الاتجاه المعاكس أقل قليلاً.

تبع ذلك ثلاث أزمات أخرى، كان من المفترض أن تثير شكلاً من أشكال "الانفصال". أولاً ، الحرب التجارية مع فرض التعريفات والعقوبات، والتي اندلعت بعد حوالي عام من تولي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب منصبه. في عام 2020، عندما بدأ الوباء، نشأ السؤال عن سلاسل الإنتاج في الصين، التي كانت تعاني من عمليات إغلاق شديدة. أخيرًا، في 2022–2023، زاد النزاع في أوكرانيا وقضية تايوان من الخلاف بين واشنطن وبكين. كل هذا خلق ضغطًا سياسيًا معينًا على الشركات العاملة في الصين وزاد من المخاطر المحتملة. حجة أخرى لمغادرة الصين ليست سياسية على الإطلاق وتعكس اتجاهات طويلة الأجل. إنه يتلخص في المحتوى التالي: في الفترة الأولى من العولمة الحديثة، قدمت الصين عمالة رخيصة يمكن تدريبها بسرعة لإنتاج مجموعة متنوعة من السلع. الآن هذه الحجة لا تعمل. على الرغم من أن الأجور في الصين لا تزال أقل مما هي عليه في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية، إلا أن الدولة مصنفة كدولة ذات دخل متوسط ولم تعد الاختلافات كبيرة لدرجة أنه ستكون هناك فوائد كبيرة من تحديد موقع الإنتاج هناك. على سبيل المثال، بين عامي 2011 و 2016، ارتفعت تكاليف العمالة في الصين بنسبة 64٪ ، وبنسبة 30٪ أخرى خلال السنوات الأربع التالية.

لا بديل

من الناحية النظرية ، فإن نقل القدرات في مثل هذه الحالة أمر منطقي وممكن تمامًا – بعد نفقات معينة لتنظيم مواقع الإنتاج، يمكن تطبيق الخبرة في الصين في بلدان أخرى في شرق وجنوب آسيا أو أمريكا اللاتينية أو أوروبا الشرقية. لذلك، في السنوات الأخيرة، كانت العديد من الشركات تتحدث بنشاط عن نقل أنشطتها التجارية إلى مناطق أخرى. خلال الأشهر القليلة الماضية، صدرت مثل هذه التصريحات من قبل Apple و Sony و Adidasو Samsungمع ذلك، فقد تبين أن تنفيذ البرنامج أصعب بكثير من الإعلان عنه.

خلال 40 عامًا منذ إدراج الاقتصاد الصيني في الاقتصاد العالمي، تم إنشاء نظام متفرّع معقد من البنية التحتية الصناعية والخدمات اللوجستية في البلاد، حيث ، نظرًا للنطاق والمنافسة القويةالشويخ، تم إنشاء دورة كاملة للإنتاج والنقل. يمكن تنظيم أي منتج تقريبًا، سواء كان مستهلكًا أو متوسطًا، بسهولة. هناك كل ما يلزم من المتخصصين والعاملين والخبرة المالية والقانونية، وقد تراكمت خبرة واسعة من العمل مع السلطات المحلية. كل ما تحتاجه موجود في مكان واحد أو في ولاية قضائية واحدة. هذا يجعل من السهل جدًا العمل في وضع المخزون الخالي من الهدر، مما يوفر على الشركات مبالغ كبيرة من المال. هذا مثال كلاسيكي على فوائد تركيز الإنتاج، للتعويض عن ذلك مهمة ضخمة للغاية.

أخيرًا، حتى عند نقلها إلى بلدان أخرى، تظل هناك حاجة إلى المواد والمكونات والموارد الأخرى. يجب طلب كل هذا مرة أخرى في الصين، حيث لا تستطيع صناعة فيتنام وإندونيسيا ومواقع الإنتاج الأخرى تنظيم الإمدادات بالحجم المناسب. ومحاولة بناء دورة كاملة في بلد معين تكاد تكون مستحيلة – لكي يتم تصحيح العمل، تحتاج إلى إنشاء نظام بيئي كامل لمجموعة من الشركات المصنعة والعديد من الصناعات ذات الصلة. نتيجة لذلك، تظهر الصورة التالية: إذا انخفضت حصة الصين في إنتاج الملابس العالمي من عام 2010 إلى عام 2018 من 37 إلى 31٪، فإن حصة المنسوجات، على العكس من ذلك، زادت من 30 إلى 38٪.

في الوقت نفسه، كسبت أكبر 200 شركة أمريكية وأوروبية ويابانية ، بطريقة أو بأخرى ممثلة في الصين، 700 مليار دولار هناك في عام 2021، وفقًا لمجلة الإيكونوميست. في عام 2017، كان الرقم 413 مليار دولار.خلال هذه الفترة، كانت هناك حروب ترامب التجارية، ووباء فيروس كورونا، وعمليات الإغلاق الهائلة التي أدت تقريبًا إلى توقف الاقتصاد الصيني في العام السابق. علاوة على ذلك، ازداد اعتمادهم على السوق الصينية: إذا حصلت المؤسسات في عام 2017 على 10٪ من إيراداتها في الصين، فقد ارتفعت في عام 2021 إلى 13٪. إلى أقصى حد، ينطبق هذا على الشركات المصنعة لأجهزة الكمبيوتر المختلفة (30٪ من إجمالي الإيرادات تأتي من الصين)، وقطاع المستهلك (26٪) والشركات المنتجة للمعدات الصناعية (22٪). الأول سيكون صعبًا بشكل خاص في الظروف الجديدة ، بالنظر إلى الإجراءات الصارمة.

حتى الآن، على الرغم من كل البيانات، لا توجد مؤشرات على مغادرة الأجانب لجمهورية الصين الشعبية في إحصاءات التجارة الخارجية. في مارس الماضي، أظهرت صادرات الصين نموًا جيدًا، حيث ارتفعت بنسبة 14.8٪ مقارنة بشهر أبريل 2022، وبلغت 315.6 مليار دولار، وارتفع الميزان التجاري الإيجابي بنسبة 82٪. في الوقت نفسه ، كان هناك انخفاض طفيف في التجارة مع الولايات المتحدة: انخفضت حصة الحاويات من الصين في السوق الأمريكية بنسبة 10 نقاط مئوية ، إلى 32٪، في حين زادت حصة الشحنات من الهند وتايلاند. (4 و 5٪ على التوالي). من السابق لأوانه استخلاص أي استنتاجات عميقة من هذا

الخطوات الحقيقية للشركات لا تؤكد الركود بعد. على سبيل المثال، في مارس، التقى تيم كوك الرئيس التنفيذي لشركة Apple بوزير التجارة الصيني وانغ وينتاو، حيث ناقش الطرفان تطوير أعمال الشركة في البلاد واستقرار سلاسل التوريد. أفيد في وقت سابق أن شركة Apple نقلت جزءًا من إنتاجها إلى الهند وحتى أنها حددت مهمة تجميع 25 ٪ من جميع أجهزة iPhone في هذا البلد. لكن الخطط واجهت عمليات إنتاج ذات جودة رديئة والعديد من الصعوبات اللوجستية، لذلك إذا تم الانتهاء من هذه المهمة، فلن تكون في المستقبل المنظور.

في الوقت الحالي ، تُظهر صعوبة تحويل الطاقة الإنتاجية من الصين أن عكس اتجاه العولمة ، على الأقل في هذه الحالة ، أمر بالغ الصعوبة. ومع ذلك ، من السهل تخيل حجم التجارة العالمية والأزمة الاقتصادية إذا تصاعد الوضع السياسي الدولي إلى حد قطع العلاقات الاقتصادية بين أكبر اقتصادات العالم بالقوة. لكن هناك شكوكاً كبيرة في أن مثل هذه الاعتبارات ستصبح عقبة أمام اندلاع صراعات عالمية جديدة.

البحث عن عروس للعدد المقبل

عصمت الموسوي

استلمت إدارة تحرير مجلة «بانوراما الخليج» منتصف عام 1991 عندما انتقلت ملكيتها إلى مؤسسة الأيام، قبلها كانت «بانوراما» التي أسسها ورأس تحريرها إبراهيم بشمي وأدارها عقيل سوار عام ١٩٨٠ مجلة فنية ثقافية اجتماعية شاملة، وقد عملت فيها خولة مطر والراحل خالد البسام وقاسم حداد وأمين صالح وعدد من المتعاونين.

وبداية لا بدّ من القول إن الانتقال من العمل في صحيفة يومية سياسية تعني بالخبر والتحقيق ومقال الرأي إلى مجلة «شهرية» نسائية هو أشبه بالذهاب إلى رحلة سياحية استرخائية مريحة ومرفهة. هنا وقت مخملي ناعم وهادئ، فلا قلق على البحث عن المادة الصحفية والقصة الخبرية ولا توتر على موعد التسليم «الديد لاين»، ولا نقاشات حادة ومعارك يومية مع «المسموح «والممنوع والمؤجل والمرّحل والمحذوف و التي اتسمت بها صحافة التسعينات، وحيث يجتهد الصحفيون كل يوم لاقتطاع مساحة حرّة خاصة بهم تعكس حرية الراي والتعبير كما يجدر بها أن تكون هنا في هذه التجربة سأروي تجربتي الشخصية مع مجلة «بانوراما»، أو بالاحرى صحافة المرأة كما خبرتها وكيف سعيت لإحداث الفرق بينما كانت عليه وما انتهت إليه.

خلال العامين الذي تسلمت فيهما المجلة، كمديرة تحرير، أجريت بعض التغيير في محتوى المجلة لمجاراة عالم المجلات النسائية الرائجة في تلك الفترة، وبالتالي ملء فراغ موجود لدينا وهو خلو المشهد الصحفي البحريني من أي مطبوعات نسائية خالصة، وأملاً في رفع سقف المنافسة وجذب الاعلان النوعي الخاص، وقد حققت المجلة صعوداً نسبياً في ارقام التوزيع والإعلان في تلك السنوات، إلا أه تراجع بعد غزو الكويت.

ولعلّ العامل الأول في النجاح يعود إلى بحرنة المادة والموضوعات الصحفية والأغلفة، واختيار وجوه نسائية بحرينية – ليست جميلة فحسب– بل متميزة وتنطوي على مادة ذات مضمون، بالتالي فهي وجوه نسائية ذات مهن وتخصصات وابداع في شتى المجالات العلمية والأدبية والفنية.

وهكذا وجدتني وقد تحولت إلى «أم العريس» الباحثة عن عروس جميلة لابنها مطلع كل عدد جديد، وكنت أبحث عن هذه الوجوه في حفلات الأعراس وعروض الأزياء ووسط المجتمعات النسائية، ولم يكن الحصول على ذلك سهلاً في مطلع التسعينات حيث المجتمع وقتها لايزال محافظاً قياساً بما هو عليه اليوم.

ولا زلت أذكر العدد الأول حيث اجريت حواراً صحفياً مع الدكتورة ابتهاج العالي استاذة الادارة بجامعة البحرين سابقا، لخصت فيها رسالة الدكتوراة التي أنجزتها حول اسباب غياب المرأة عن عالم الادارة، وكيف أن جذر هذه الإشكالية يعود إلى الفكر اليوناني الأرسطي الجامد.

في عام 1992 اجريت لقاء مع الدكتورة مريم غلوم والدكتور نبيل رزق حول تجربة أطفال الأنابيب الناجحة في البحرين، وتلقينا على أثرها رسالة من سيدة بحرينية تعاني تعثرا وصعوبة في هذه التجربة، والتقط الحكاية مدير وحدة التلقيح الصناعي بمستشفى سلمان فقيه بالمملكة العربية السعودية فطلب معاينة الحالة والتبرع بعلاجها بالمجان وكانت «بانوراما حلقة» الوصل.

وحضرت مع «بانوراما» عدداً من عروض الأزياء العالمية «الهوت كتور « في البحرين وخارجها، إن عالم الخياطة الراقية المتقنة والمصنعة من القماش العالي الجودة والسعر والتي تحمل اسم أمهر الخياطين، ومشاهدة العارضات عن قرب، وهن يمشين مشية القطة لهو حدث رائع ولا ينسى. كما حضرت عرضاً لملكات الجمال في العالم أقيم بعيد انبلاج فجر الحرية والتغيير في أعقاب اطلاق سراح نيلسون مانديلا في جنوب إفريقيا، وقد أقيم على انغام وعزف الموسيقي العالمي الفرنسي جان ميشيل جار . حفل باذخ أقيم في أحد أكبر وأفخم المنتجعات، لم أشهد مثيلاً له في حياتي الصحفية وكان مقرراً أن يحضره مانديلا وانتظره الجميع طويلا الا أنه لم يظهر، ولاحقاً التقيت مانديلا في البحرين عام 2002.

وتلقيت دعوة من دار أزياء نينا ريتشي لزيارة مصنعها للعطور والأزياء والحقائب في باريس، ورأيت عن قرب شلالات العطور وكيف تعبأ في الزجاجات وتطرز باللمسات اليدوية الفنية الأخيرة، كما شاهدت عرضا لمكوّنات العطور والمواد الغريبة المختلفة الداخلة في تكوينه.

على أن لقائي بالسيدة أنيتا روديك 1942 – 2007 سيدة الأعمال البريطانية التي زارت البحرين في مطلع التسعينات كان من أجمل اللقاءات، فهذه المرأة مؤسسة علامة "ذي بودي شوب" والتي تحولت إلى أكبر مدافعة عن البيئة وحقوق الانسان لاحقاً، تبرعت بكل أرثها من الملايين وأسهم الشركات قبل وفاتها، تاركة أولادها يؤسسون أعمالهم وثرواتهم بأنفسهم.. أنيتا من الشخصيات القلية والنادرة في عالم الأعمال التي تركت أثراً كبيراً في نفسي بسبب بساطتها وعمق تجربتها.

واما التحقيق الصحفي الذي لا ينسى فقد كان حواراً موسعاً وطريفاً مع أطباء وطبيبات الولادة، والذي يروي الحكايات العجيبة من غرف الولادة في مستشفياتنا، وكيف أنجبت تلك السيدة 18 ابنا رافضة اجراء عملية الربط مدعية أن زوجها سوف ينجب ابناء من زوجته الثانية إن هي توقفت عن الانجاب. كتبت فيها مقالا بعنوان "مدّ وجزر" تناولت فيه – ويا للمفارقة – العبودية الجديدة للمرأة والمتمثلة في مجاراة عالم الاستهلاك المظهري وشروطه القاسية وهي مادة معاكسة للإعلان المطلوب جذبه إلى المجلة.

واستكتبت المجلة عدداً من الصحفيين والكتاب المتعاونين: عبد المنعم ابراهيم وعبد الحميد المحادين والدكتورة سماح العجاوي والدكتورة نهى بيومي ومهندسة الديكور يسرى عبدالغفار والدكتورة صفية البحارنة وسيدة الأعمال نائلة الوعري.

عندما تنغمر في مهنة ما وتستقر في أعماقها وتفهمها جيداً، فإنك تجد نفسك أمام خيارين: إما أن تحاول التطوير والابداع فيها انطلاقا مما هي عليه من ثم القفز على حدودها وامكاناتها المؤطرة سلفاً باتجاه رسم منحى جديد ومختلف، أو تبلغ النهاية موقناً أن ليس بالإمكان افضل مما كان.

اعتقد انني اجتهدت في المبدأ الأول، اما مقدار النجاح فهو ما يقرره الآخرون. إن قصة "بانوراما" كقصة العديد من المجلات التي لم تصمد طويلاً في بلدنا، كما لم تستطع مجاراة مثيلاتها ك"زهرة الخليج" و"سيدتي" اللتين حظيتا بسوق إعلاني وتوزيعي أكبر مما كان لبانوراما.

تركتُ العمل في المجلة عام 1994 واستلم ادارة تحريرها الزميل عبد المنعم إبراهيم ثم الزميل فريد أحمد حسن، وقد توقفت عن الصدور عام 2019، تحولت بعدها إلى مجلة دعاية واعلان تصدر بشكل دوري عن مؤسسة الأيام.

من وجهة نظر نفس/علمية
لماذا الحرب؟!

في مطلع القرن الماضي وتحديداً في ٣٠حزيران ١٩٣٢ وعلى وقع خطابات الحرب الصاخبة، وصعود النازية وتحرك الرايخ الثالث لدخول فيينا، يرسل أينشتاين رسالة إلى فرويد يطلب فيها منه إطلاعه على الدوافع النفسية التي قد تؤدي لنشوب الحروب بشكل دائم.
ينطلق أينشتاين في رسالته من تصورٍ علمي يحاول من خلاله مقاربة الأمور بشكلٍ عقلاني، ويتساءل إن كان هناك وسيلة ما واقعية أو علمية وتكون فاعلة يمكن تطبيقها لتساهم ربما في إنقاذ البشرية من كارثة حربٍ وشيكة قد تحدث في أي وقت.

حسين آل الربيع

مع تطور مستوى الوعي الإدراكي عند البشر والذي أدّى إلى التقدّم التقني الهائل ومستوى التمدّن العالي، أصبح التعدد في التوجهات داخل الدولة الواحدة ممكناً، الأمر الذي مكّن البشر من إنشاء واعتماد القانون للمحافظة على السلم الأهلي والنماء الإقتصادي برعاية مظلة واحدة وهي الدولة التي تحتوي كل ذلك التعدد، إلا أن هذا القانون قد اصطدم بأولى عقباته – كما يقول اينشتاين – التي تمثلت في أن القضاء إذا مُنح سلطة ضعيفة سيلجأ الى الإلتفاف على القانون ولا يمكن للسلطة أن تنفك عن القانون فهما متلازمتان. ويذهب أينشتاين بعيداً في تبني قانوناً عالمي يلتزم به الجميع فتكون قراراته قاطعة ولازمة، ويطرح أينشتاين فكرةً يقول فيها:»إن الطريق إلى الأمن العالمي يؤدي الى تخلي الدولة عن جزء من حريتها في التصرف بشؤونها وجزء من سيادتها أيضاً. ويجب أن لا ندع مجالاً للشك بأن لا طريق سواه سيؤدي إلى تحقيق الأمن» (الغريزة والثقافة ص129)، لايوجد أي إمكانية لتحقيق هذا المقترح في عصر صعود الأنظمة الشمولية والدكتاتورية، أعني في زمن أينشتاين، ويعترف هو نفسه أنها فكرة صعبة التطبيق في ظل تصاعد واحتدام النزعة القومية عند الدول والشعوب.
يبدي أينشتاين استغرابه وتساؤله الذي سيوجهه إلى فرويد، في شأن مشاعر الجماهير التي قد تتأجج إلى حد الإندفاع والتضحية بالنفس، بتأثرهم بوسائل الدعاية والتحشيد، هل لأن الإنسان يضمر الشر في داخله ويحمل رغبة دفينة في التدمير تكون غير ملحوظة في الظروف العادية وتظهر منفلتةً خلال الأوضاع الشاذة التي يمكن فيها إيقاظ هذا العداء والعنف بسهولة الى حدٍ ما، حتى يتحوّل الأمرإلى عُصاب جماعي؟
سيحاول فرويد الرد على التساؤلات التي راسله بها اينشتاين عبر تحليل نفس/علمي يتبع فيه سير التطوّر الفكري والحضاري لدى البشر، وفيما يتعلق بالقانون يعتقد فرويد أن القانون هو بحدّ ذاته وسيلة أخرى لممارسة العنف إلا أنه يقنن ذلك العنف ويحتكره في السلطة صاحبة الشأن وهي الطرف الأقوى، وبالتالي يتم إخضاع القوى الأضعف التي يمارَس عليها القانون والسيطرة عليها والتخفيف من حدّة جموحها. وبسبب تفاوت القوة في المجتمع قد يحاول الأفراد من الأسياد وأصحاب النفوذ التحرر من بعض القيود القانونية الملزمة والرجوع إلى سلطة العنف، وهذا سيدفع تطلعات المضطهدين المستمرة بُغية الحصول على المزيد من النفوذ وملاحظة هذه المطالب في روح القانون المطبق عليهم، وسيدفع تعنت الأسياد بالمقابل إلى نشوء اضطرابات وثورات تتطلع إلى توفير الحقوق والمساواة بين مختلف فئات وطبقات المجتمع، وهو ليس بالأمر السهل إن لم يكن من أكثر الأمور الإجتماعية تعقيداً.
يرى فرويد أنه لابد من توفر شيئين لتحقيق تماسك المجتمع وهما فرض العنف المقنن من جهه وترابط المشاعر المشتركة، أي ترسيخ الهوية من جهة أخرى، وأن هذان المقومان يسند كل واحد منهما الآخر، وإذا انهار أحدهما يستطيع الآخر حفظ المجتمع من الإنهيار. ويقول في خصوص مقترح أينشتاين بإمكانية إنشاء سلطة عالمية مركزية تضبط جميع الدول والمجتمعات، بأنها فكرة لايمكن بلوغها إلا بعد خوض حروب أهلية رهيبة:»فإن محاولة تعويض السلطة الواعية بسُلطة الأفكار باتت محكومة بالفشل اليوم، وسيخطئ المرء الحساب إذا لم يضع في نظر الإعتبار بأن القانون لم يكن في الأصل سوى عنف فظ ولا يمكن أن يستغنى عن العنف في الوقت الحاضر» (الغريزة والثقافة ص138).
يسهب فرويد في تحليله لما يسميه بمذهب الغريزة الذي أشار إليه وتساءل عنه أينشتاين فى مراسلاته مع فرويد. يرى فرويد من وجهة نظر التحليل النفسي أن غرائز الإنسان تتألف من نوعين متناقضين ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وهما غريزة الحياة والمتمثلة أساساً في النشاط الجنسي وتهدف إلى حفظ النوع، كان فرويد قد عرّفها بـ»إيروس» التي استعارها من محاورات أفلاطون. والثانية نقيضة الأولى وهي غريزة الموت وهي غريزة عدوانية هدامة وعرّفها أيضاً بـ»ثاناتوس». وتمثل هاتان الغريزتان التناقض الثنائي المعروف بين الحب/الكُره، الخير/الشر، إذ أن مظاهر الحياة تتجلى عبر التجانس والتناقض بينهما.
وعلى الرغم من أن غريزة الحب تنزع إلى البقاء إلا أنها تمتلك بين طياتها روحاً عدوانية إذا ما أرادت تنفيذ رغباتها. وتدفع غريزة الموت إلى الهدم والتدمير فتواجه الأشياء الخارجية المخفية (الوقعية والمتوهمة) المهددة لحياة الكائن البشري، فيحافظ على حياته من خلال تدمير ماهو غريب، وهي خاصية دفاعية طوّرتها الكائنات الحيّة للحفاظ على بقائها. ويرى فرويد أن استئصال النزعة العدوانية المتأصلة في النفس البشرية أمر متعذر ومستحيل، إنما يمكن إشغالها وإلهائها لكي لا تجد تعبيرها في الحرب. يسعى الإنسان دائماً لمكافحة نزعة الحرب لكنه إلى يومنا هذا لايمكنه القضاء عليها تماماً وإنهائها.
يقول فرويد:» يجب علينا أن نبذل المزيد من العناية والإهتمام، وأكثر بكثير مما كنا نفعل في السابق، من أجل تربية طبقة رفيعة ومستقلة التفكير ولا تهاب الإرهاب وتكافح من أجل الحقيقة، فتتحمل مسؤولية قيادة الجماهير غير المستقلة. ولسنا بحاجة هنا الى إقامة الدليل على أن عملية التهذيب هذه لا تصلح لتعسف السلطة وظلمها، ولا لحظر التفكير الذي تفرضه الكنيسة. ويقوم هذا الوضع المثالي بالطبع على وجود جماعة من الناس الذين يخضعون غرائزهم الحياتية إلى سلطة العقل وحده. ليس هناك من هو قادر على تحقيق الوحدة الكاملة والصامدة للناس غير هذا الوضع المثالي، وحتى في ظل انعدام ارتباط المشاعر بينهم، لكن هذا أملٌ خيالي على أقرب الإحتمالات. أما السبل الأخرى الكفيلة بوضع حدٍّ للحرب فهي بالتأكيد تلك السبل الميسورة التي لا تبشر بالنجاح السريع، والمرء لايفكر بالمطاحن التي تطحن ببطء قبل أن يحصل على الدقيق.» (الغريزة والثقافة ص143)
وفي مقابل كل ذلك يتحتم على الأطراف المسالمة أن تتسلح بالقوة لأنها قد تُدفع الى الحرب دفعاً وقد تتعرض للهجوم من قبل الأطراف التي تنزع للحرب والغزو، لا أن تقف مكتوفة الأيدي طالما كانت هنالك أممٌ مستعدة لإبادة الآخرين بلارحمة لهذا يتعين على الأمم الأخرى بالمقابل أن تكون مستعدة للحرب دائماً بالمقدار ذاته من باب الدفاع عن النفس وعن حقها في البقاء، كما يرى فرويد وكما أشرنا سابقاً بأن غريزة البقاء والحبّ تحمل في داخلها بشكل أوبآخر شيئاً من العنف وشيئاً من غريزة الهدم.

نحو تشريعات جديدة تنصف المرأة في مجتمعنا

العدالة الغائبة بين السينما والواقع

بين الحياة والسينما، تتشابه الكثير من الصور والأحداث، مما يجعلها مترابطةً في القصة والمعنى. وبين أزمنة مختلفة، وبيئات مختلفة، القصة هي ذاتها، بدروسها المنسية وأطرافها غير المتوازنة، والتي تتكامل عبر منظومة الاستغلال وتراجع العدالة، وما زالت تتكرر إلى يومنا هذا.
في نهاية السبعينات، قدّم الفنان الكبير (آل باتشينو)، دوراً عظيماً من أدوار التمثيل السينمائي، هدفه الرئيسي، هو أن تكون العدالة للجميع. هذا ما يخبرنا به جوهر الفيلم الذي جاء بعنوان: and justice for all. القصة الرئيسية في الفيلمتدور حول شخصية المحامي (آرثر كيركلاند) والقاضي (هنري فليمينغ). ولأن الغاية من القضاء هي تحقيق العدالة والإنصاف، والغاية من الأنظمة والقوانين تطبيقها؛ نكون قد تعرفنا على نقطة الخلاف الرئيسية بينهما، أي بين أبعاد العدالة وقيمها، ونفوذ السلطة ومركزيتها، والتي يُضيئ عليها الفيلم بشكلٍ واضح.

جعفر محمد علي

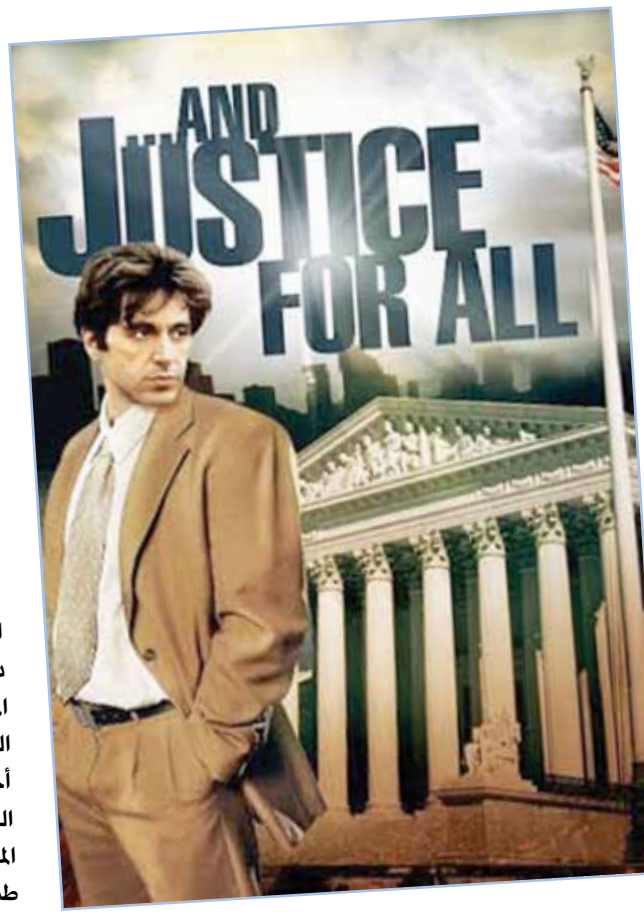

الجزء الأكثر أهمية في هذا الفيلم، هو عندما يقع القاضي في تهمة الإغتصاب، ويتم استدعاء المحامي، الخصم اللدود، لأسباب سياسية واعلامية؛ من أجل تغطية الأزمة التي وقع بها هذا القاضي. إن الحياة ليست مثالية، والبشر كذالك أيضاً. نعم، هي معادلةٌ صعبةٌ وقاسية، وتحمل الكثير من الالتزامات والمسؤوليات، ولكنها تعكس نوعاً من الصدق وعدم الازدواجية، ترتقي من خلاله المجتمعات التي ترفض التسليم بعادات الظلم ومفاهيم الرجعية.
تبدأ محاكمة القاضي، وبرفقته المحامي (الدور الذي يؤديه آل باتشينو)، الذي تم إقناعه من عدة جهات، بأن يتولى مهمة الدفاع عن هذا القاضي. وعندما تتساهل منظومة العقاب في تحقيق العدالة، فإنها تشجع على المزيد من الظلم والأذى بحق الإنسان. وإن هذا الأمر، هو الذي دفع بالقاضي، بإعلان نيته من جديد، إلى المحامي برفقته، عن تكرار فعل الإغتصاب بحق المرأة/الضحية، عندما نظر إليها في قاعة المحكمة. وقف المحامي أمام هيئة المحلفين، محاولاً فهم الموقف الذي صارت إليه المحاكمة. قاض معتد، ويتم التستّر على أفعاله، وضحيةٌ يبدو أن حقها سيضيع، في ظل هذه المنظومة الفاسدة. بدأ المحامي بالبكاء في تلك اللحظة. قام بسرد موقف القاضي وأقوال الضحية، متتبعاً الطريق المنطقي للأحداث؛ قبل أن يصل إلى قراره الأصدق، وهو أن يكون مع احترامه لذاته، ليعلن على الملأ، أن الإدعاء العام، سيتمكّن اليوم من إدانة هذا القاضي المغتصب، والذي يجبُ أنْ يُزَجَّ به في السجن فوراً، حمايةً للعدالة والمصلحة العامة.

في الحياة البحرينية، هنالك مقاربةٌ كبيرةٌ لهذه القضية، تجري أحداثها في المحاكم الشرعية، والأطراف والخصوم فيها، أكثر عدداً وتعقيداً من أطراف القضية الأولى؛ بسبب تداخل التقاليد والموروثات مع الجانب الديني، وأيضاً بسبب الأعراف الاجتماعية والجمود الفكري، الذي تشتهر به المجتمعات العربية من دون المجتمعات الغربية.
العدالة للجميع، هي من أكبر المبادئ التي تفتخر بها المجتمعات المتقدّمة، وصيغتها الرئيسية هي الإنسانية، التي تحاول الإرتقاء عن التمييز بين الرجل والمرأة، من خلال الإنصاف الحقيقي لهما. ولكن هنالك دولاً ومجتمعات، لم تصل بعد لهذه المقاربة، ولا زالت قانعةً بالتقاليد الجامدة والموروثات السيئة، وقد أختارت – إلى الآن – أن تنظر إلى النصف الثاني من المجتمع، أي إلى المرأة، نظرة الدور التقليدي البعيد عن طموحاتها في الإنجاز والحياة.
في البحرين، كتبت محاميةٌ بحرينيةٌ مقالاً مهماً في الصحافة المحلية، ولا أعلم عن مدى تأثيره على الوعي الاجتماعي وأصحاب الشأن وقتها؛ ولكن الذي أتذكره، أنني لم أقرأه في مرحلة نشره الأولى، وهو على ما يبدو، أنه لم يلاق الاهتمام المطلوب، بسبب تلك النظرة التقليدية للمرأة، والتي أشرنا لها في الفقرات السابقة. وجاء المقال بعنوان: (لمحة عن واقع القضاء الشرعي الجعفري في مملكة البحرين)، لكاتبته المحامية نفيسة دعبل، والمنشور في صحيفة الوسط البحرينية، بتاريخ 25 سبتمبر 2013.
إن الظلم والإستغلال في الحياة، يُصبح مُضاعفاً، عندما يكون مرتبطاً بمفاهيم القداسة الدينية. والسبب الرئيسي في ذالك، هو أن

جانباً مهماً من المعتقدات والقيم الدينية، يدعو الإنسان إلى التسليم والإيمان؛ وهو من الجوانب الطبيعية والمفهومة في الثقافة الدينية. ولكن الأزمة الكامنة فيه، تتكشّف من خلال المتطلبات العصرية، تلك التي تساهم بها طبيعة الحياة الحديثة، وما تشملها من إرتباطات علمية مختلفة؛ والتي تطالبنا بها حياتنا اليوم، عبر معاني الإرتقاء والتحديث، في الإتجاهات والقيم الإيجابية.

المرأة في الحياة أبعد من النصف الآخر، إنها الجزء المنسي من ثقافتنا وحياتنا. هذا ما أكدت عليه المحامية في مقالها، وهي تحاول تسليط الضوء على أحوال المرأة البحرينية في المحاكم الجعفرية، والتي نقرأها من خلال الكلمات التالية: "بعد أن آلمني صراخ النساء في قاعات المحاكم، والذي شهدته بكل يوم، بل وبكل لحظة، منذ أن انخرطت في عمل المحاماة الذي قارب على عشر سنوات؛ والذي استشعرت بأنني مهما حاولت تغطيته، لن أستطيع بأي حال من الأحوال، فالمشكلة لم تقتصر على سنوات عملي بالمهنة، بل هي مشكلةٌ سابقة، لها تداعياتها وأبعادها، والتي تحكي بكل جزء فيها مظلومية المرأة بالقضاء الشرعي الجعفري، بحجة تطبيق الشرع وبإسم الدين من القضاة المعممين».

وتضيف أيضاً: "من بين أسوأ القصص التي تواردت على مسامعي، من المتقاضيات اللاتي يرفضن بيان شخصياتهن أو حتى تقديم شكاوى للجهات المعنية، رغم محاولاتي الكثيرة معهن، هي المساومة التي يحيكها أحد القضاة في الزواج من المتقاضية، بعد أن يطلقها بشكل ميسر من زوجها، وإلا فإن حق تقدير الضرر لديه، وبالتالي فإن تقديره لن يكون في صالحها. أيُّ فساد في القضاء هذا ؟! وأيُّ استخدام لشرع الله ؟! وأيُّ نفس مريضةٌ تلك ؟! نعم، ذالك التصرف هو تصرف شخصيٌ، لا علاقة له بالدين أو بالشرع، ولا علاقة له بالقضاء الشرعي وسموه بأي شكل من الأشكال؛ إلا أنه يمس جوهر التطبيق وبالتالي فإننا لا نستطيع فصله عنه».

إن الذي يجري على المرأة في مجتمعاتنا، يدعونا للتساؤل من جديد، عن ثقافة العدالة الغائبة من حياتنا، والتي قامت بتأكيدها سطور هذا المقال. وهي التي تدفعنا أيضاً، أن نتساءل عن مكانة الإحترام وتحمُّل المسؤولية في هذا المجتمع؛ عندما تتمُّ كتابة مقالٍ بهذه الأهمية والخطورة، ويُصبِحُ بعدها عابراً، كأنَّ شيئاً لم يكن..؟!

المعتقدات الجامدة في الثقافة الاجتماعية، تتحمل دوراً كبيراً في استمرارية هذه الأزمة؛ من خلال النظرة التقليدية للمرأة. هذه النظرة، التي ترفضها قيم العدالة والمساواة، عبر مناهضة هذه المفاهيم والتشريعات، والتي يستثمرها الفاسدون في منظومة القضاء.

إن هذه الأزمة لم تنس أيضاً الاضاءة على الإنقسام السياسي الموجود حول القضايا العامة، من خلال أهلية القضاة والمنتمين لهذه المحاكم؛ حيث يعتبرهم البعض، أنهم محسوبون على الجانب الرسمي، أكثر منه من الجانب الاجتماعي، برموزه المذهبية والدينية. وأن هنالك نماذج نزيهة وعادلة، من القضاة ورجال الدين، لو تمَّ اعطاؤهم الفرصة – بحسب بعض الآراء – لكان الحال أفضل من الذي كان. وهنا نصل من جديد، إلى التقييمات الخاطئة في المجتمع، وهي أن بيئة الإستغلال لا زالت ثابتة، وأن الخلل الحقيقي يكمن في تراجع الرقابة والمحاسبة، الحقيقية والصارمة، على منظومة القضاء، من خلال الجهات المختلفة، القانونية والإدارية، والتي يتمُّ تعيينها وفق مقاييس الكفاءة، ومن الرجال والسيّدات، من أصحاب النزاهة والإحترام.

إن القيم الحقيقية للعدالة، لا تعترف بالتمييز بين الرجل والمرأة، ولكن هذا التمييز، يعترف به الموروث الثقافي الخاطئ في هذه المجتمعات. هذه القيم التي أثبتت، بأن المرأة تتقدّم بها علي الرجل في مجتمعاتنا العربية. وهذا الأمر يزيدها فخراً واحتراماً لنفسها، وشرف للرجال أن يتعلموه منها في هذه الحياة.

من أجل الخير والشرف، هي صرخة العدالة الغائبة عن حياتنا. هي دروب الجدارة الحقيقية التي تدعونا دوماً لتمثيل القيم العليا، من خلال قيم العدالة ومعاني الخير العام. تلك الدروب التي يجب أن ننتمي لها من صميم قلوبنا وعقولنا، احتراماً عظيماً لوجودنا وإنسانيتنا.

جلال إبراهيم

نظام التقاعد الجديد بين الفرنسيين والبحرينيين

خرج مئات الآلاف في عموم مدن فرنسا احتجاجاً وتظاهراً ضد مشروع القانون الذي تقدمت به الحكومة لتعديل نظام التقاعد ومن أهم بنوده رفع سن الإحالة على المعاش إلى 64 عاما. وقدّر الاتحاد النقابي "الكونفدرالية العامة للعمل" عدد المشاركين بأكثر من 2،5 مليون شخص، بينهم 500 ألف في العاصمة.

لافتات وشعارات عديدة رفعت في هذه الاحتجاجات، من بينها لافتة كبرى خلال تظاهرة باريسية "لن نموت في العمل"، في شعار يبدو أنه يعكس ذهنية المتظاهرين الرافضين التدبير الجوهري في مشروع ماكرون تعديل نظام التقاعد والذي ينص على تأخير سن التقاعد من 62 إلى 64 عاما.

ومنذ بداية الاحتجاج على هذا التعديل للرئيس ماكرون الذي تجري مناقشته حاليا في الجمعية الوطنية في أجواء من التوتر، تحدثت النقابات عن تعبئة واسعة لتحريك الجماهير في الساحات والميادين لتعطيل تنفيذ قانون التقاعد الجديد.

في البحرين نجحت الحكومة بسهولة في تمرير مشروع نظام التقاعد الجديد، وذلك عبر موافقة الأغلبية العظمى من أعضاء مجلسي النواب والشورى. ولم تفلح اعتراضات عامة البحرينيين عبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، التي لم تلقى أي اهتمام من قبل المسؤولين.

المفارقة أن فرنسا واحدة من الدول الأوروبية التي تعتمد أدنى سن قانوني للتقاعد، وتسعى إلى رفعه سنتين إضافيتين، الأمر الذي أغضب عامة الفرنسيين ودفعهم للانتفاضة ضده. بينما في البحرين تم رفع سن التقاعد خمس سنوات دفعةً واحدة، من عمر الستين إلى الخامسة والستين.

لم تكتف الحكومة – وبمباركة مجلسي النواب والشورى – برفع سن التقاعد، بل أصدرت قرارين مجحفين بحق البحرينيين، الأول زيادة استقطاعات اشتراك المتقاعدين 1٪ ، والثاني إيقاف الزيادة السنوية للمتقاعدين والتي تبلغ 3٪ ، مقابل الغلاء الفاحش، ورفع نسبة الضريبة من 5٪ إلى 10٪ على أغلب المواد والسلع.

سن التقاعد للموظفين في القطاع الحكومي لدول الخليج العربي هو 60 سنة للرجال و 55 سنة للنساء، ومع النظام الجديد للتقاعد في البحرين، أصبح السن التقاعدي للرجل 65 وللمرأة 60 سنة. ليس من السهل العمل لهذا السن المتقدم، خصوصا وأن الكثير من المهن والوظائف تحتاج إلى جهد ذهني أو بدني عالي.

الغريب في ملف نظام التقاعد في البحرين، أن المعنيين طرحوا قبل سنوات قليلة التقاعد الاختياري المبكر، وقد أقبل عليه الآلاف من البحرينيين والبحرينيات، لوجود مزايا كبيرة ما كان يحلم بها أكثر المتفائلين. وعندما وجه السؤال للمعنين، لماذ فتحتم أمام المواطنين باب التقاعد الاختياري المبكر قبل أربع سنوات، بينما تصرون على رفع سن التقاعد حاضراً إلى 65 سنة؟ يُجيب هؤلاء، بأنها كانت حالة استثنائية، والتركيز الآن على تشجيع العاملين والعاملات على البقاء لأطول مدة ممكنة في العمل.

وللدقة هي حالة إجبار غير مباشرة للموظف/العامل بعدم الخروج للتقاعد إلا في سن 65 سنة للحصول على نسبة من الراتب، قد لا تتخطى 70٪ بعد خدمة عمل تتجاوز الثلاثين إلى الأربعين عاماً.بينما أعضاء مجلسي النواب والشورى يحصلون على نسبة 80٪ من الراتب بعد خدمة عمل لا تتجاوز الثمان سنوات.

تنازُل الأُنثى وعَودة المرأة (2 – 2)

ترجمة:
غريب عوض

كان هناك جانب آخر للتقدم الوظيفي غير المتكافئ الخاص بحالة جائحة COVID-19 نتيجة للفصل الأُفقي، المُتجذر بعمق في إيطاليا. يمكن مناقشة الفصل الجندري في سوق العمل فيما يتعلق بالفصل الأُفقي والفصل الرأسي. يُشار إلى الفصل الرأسي عادةً بإسم "السقف الزُجاجي"، مما يُشيرُ إلى مجموعة من الظروف التي تحرم المرأة من الترقية إلى المناصب العُليا (في الشركات والمؤسسات والمنظمات). ويُشير الفصل الأُفقي إلى تركز الرجال والنساء في القِطاعات التي يُعتبر اجتماعياً أنها صحيحة أو مُناسِبة لهم (يكفي أن نقول إنهُ في إيطاليا ، لايزال البعض يجدون صعوبة في نطق الصيغة الأنثوية لكلمة "مُهندس"، أو إعطاء الأسماء المؤنثة للمهن الأخرى التي كانت دائماً من اختصاص الذكور). لماذا أثرت أزمة سوق العمل التي سببتها الجائحة على النساء أكثر من غيرها؟ لأن أكثر من 70٪ من العاملات في إيطاليا يعملن في قطاع الخدمات ، والجائحة بطبيعتها ، جعلت تقديم العديد من الخدمات أمراً مُعقداً، إن لم يكن مُستحيلاً. وهكذا انخفض الطلب على العمل، وعانت النساء بمجموعهن من نكسة.

ويجب أن نتذكر أيضاً بأن النساء اللاتي يتبوأن مناصب عُليا في مواقع صنع القرار (مثل المحكمة الدستورية، والوكالة العالمية للرياضة والترفيه CSM، ووكالة الشركات والصِرافة الإيطالية Consob، والخدمة الدبلوماسية وعدد من السُلطات العامة) تُمثل فقط 20٪ من المجموع، وأن عدد النساء في الوظائف العُليا في تزايد على نحوٍ بطيء جداً، تُظهر زيادة بنسبة 7٪ فقط خلال التسع سنواتٍ الأخيرة. إذا أخذنا بعين الأعتبار كلا الشكلين من الفصل الأُفقي والرأسي، فإن الوضع القائم على فجوة الأجور بين الجنسين غير مُفاجئ إلى حد ما. ووفقاً لبيانات نظام التقاعد العام الإيطالي بلغ متوسط الأجور للرجال الإيطاليين في عام 2019 ما مقداره 16،297€يورو، في حين لم يتجاوز متوسط الأجور للنساء 11،260€ يورو. وهكذا فإن فجوة متوسط الأجور حوالي 31٪ ، ويُمثل مرة أُخرى اختلافات إقليمية .وتُشير البيانات المتعلقة بالجنوب إلى فجوة في الأجور بين الجنسين تبلغ 33٪ ، ولكن حتى هذا الرقم يتطلب بعض التفكير، لأن النساء في الجنوب يعملن بنسبة عالية في القطاع العام ، حيثُ تبلغ فجوة الأجور بين الجنسين صفراً تقريباً. يبدو أن هذا يُشير إلى وجود فجوة عالية في الأجور بين الجنسين في القطاع الخاص.

ويمكن رؤية العواقب المُترتبة عن عدم المُساواة هذهِ على المستوى المجتمعي، وتُمثل عدم كفاءة خطيرة في نظامنا الإقتصادي. في جنوب إيطاليا، يمكن ربط المعدل المنخفض لتوظيف الإناث بانخفاض معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي مُقارنةً ببقية البلاد. تُؤكد البيانات الموجودة في تقرير المالوريا لعام 2021 ، كما كان في السنوات السابقة على أن النساء يتخرجن من الجامعة في وقت أبكر وبمتوسط درجات أعلى من الرجال. على هذا النحو، قد يُعتَقَد أن النساء يُمثلن رأس المال البشري الرئيسي لبلادنا ، لكننا لا نخلق بشكل منهجي الظروف التي ندرك فيها قيمتها، لأننا نتوقع منهن البقاء في المنزل والعناية بالأسرة. في بلد يتم فيه بناء الحملات الإنتخابية وكسبها بفضل سرديات الأُسرة (غالباً ما تكون غير واقعية بقدر ما هي ملائكية) من المهم أن نتذكر أن ظروف الأمومة هي بالضبط ما تُمارس التأثير السلبي الأكبر على مقدار الوقت الذي تبقى فيه المرأة في سوق العمل . بالفعل، وفقاً للبيانات المُقدمة في تقرير النوع الإجتماعي (الجندر) لعام 2021، آلية تعمل في إيطاليا تُعرف بإسم "عقوبة الطفولة"، وهي عائق مهني مُخصص للمرأة عندما تُصبحُ أُماً. ومن بين النساء في سن الإنجاب (بين 25 و 49)، يبلغ مُعدل التوظيف 74٪ لمن ليس لديهن أطفال، مُقارنةً بـ 54٪ فقط لمن لديهن طفل دون سن 6 سنوات . وبالنسبة للنساء اللواتي لديهن طفل واحد أو أكثر في جنوب البلاد، ينخفض معدل التوظيف إلى أدنى من ذلك 35٪.

كيف نتعامل مع هذا الوضع لـ «تنازل المرأة»؟ بإمكان السياق الإيطالي أن يُشير إلى استراتيجيات قد تنطبق بنفس القدر في أمكان أخرى . من الواضح تماماً، أن هناك حاجة إلى ثورة ثقافية لجعل الرجال والنساء في هذا البلد يرون أنفسهم كمشاركين في جميع الإجراءات والألتزامات التي تقع ضمن نطاق واسع من الأبوة والأمومة. ومع ذلك، فإن التدابير الهيكلية مثل الحصول على خدمات الرعاية النهارية العامة ستُساعد بلاشك. مُنذُ عام 2002 ، دعت أهداف برشلونة التي حددها المجلس الأوروبي إلى إتاحة الرعاية النهارية لـ 33٪ من الأطفال ، بهدف تحسين التوازن بين الأسرة والعمل وتعزيز حضور أكبر للمرأة في سوق العمل. في إيطاليا في عام 2019، يمكن لـ 27٪ فقط من الأطفال حتى سن 3 سنوات الإعتماد على مكان في الرعاية النهارية. ومرة ثانية، لدينا تبايُنات اقليمية كبيرة هُنا : وفقاً للمعهد الوطني الإيطالي للإحصاء ISTAT، في حين أنهُ في الشمال تم تحقيق نسبة 33٪ في المتوسط، بينما في الجنوب فلا يبدو أننا بلغنا أكثر من نسبة 14٪ (بأدنى رقم 11٪ وُجِدَ في منطقة كالابريا).

ومع ذلك لا يبدو أن كل شيء قد ضاع . فمع تدهور الأرقام ، يتم إعطاء هذهِ القضايا مساحة متزايدة في الصُحف والمجلات والبرامج التلفزيونية على وتيرة يومية، وزيادة الوعي الجماعي وجمع الدعم للمُبادرات، بما في ذلك التشريعات ، التي تتحرك نحو مزيد من المُساواة. لا يمكن أن يكون الأمر صِدفة بأنهُ، في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2021، تمت الموافقة على قانون غريباودو Gribaudo Act للمساواة في الأجور. ويطلب هذا التشريع الجديد من كل من شركات القطاعين العام والخاص التي بها أكثر من 50 موظف أن تجمع تقريراً ببيانات مُقسمة

بقلم:
Azzurra Rinaldi

حسب الجنس فيما يتعلق بموظفيهم، من التوظيف إلى الترقيات والرواتب. ويُقدم قانون غريباودو Gribaudo أيضاً شهادة المساواة بين الجنسين، المرتبطة بآلية المُكأة، حيثُ تُمنح الشركات التي تقوم بصياغة التقرير ميزة ضريبية لمساهمات الضمان الإجتماعي التي تصل إلى نسبة 1٪ و 50،000€ يورو سنوياً لكل شركة. ومع ذلك، لا بد أن نقول، يبقى القانون غير مُلزم للشركات التي توظف أقل من 50 موظفاً، ووفقاً لبيانات المعهد الوطني الإيطالي للإحصاء لعام 2019، من بين 4.4 مليون شركة، 29،000 شركة فقط توظف أكثر من 50 عاملاً. وبالتالي فإن هذا القانون وأي عقوبات مُترتبة عليه تنطبق على 0.7٪ فقط من شركات الدولة.

من أين نبدأ، إذن، في العمل تجاه استراتيجية المساواة الجنسانية ؟ إذا كان لا بد لي أن أذكر إجراءات مُحددة، سأبدأ بتشريع يطرح إيجازة أُمومة مُتساوية. تم تحقيق هذا في أسبانيا مُنذُ عام تقريباً، وفي فينلندا في أيلول/سبتمبر 2022، لذا، من الواضح إنهُ أمرٌ ممكن . إن جعل إجازة الأبوة مُساوية لإجازة الأمومة لن يشجع فقط على الإنتقال الثقافي الذي تمس الحاجة إليه فحسب، بل سيقضي أيضاً على العديد من أسباب التمييز ضد المرأة في سوق العمل. ثانياً، أود أن أقترح الإلتزام الجاد بالرعاية النهارية وقضا مزيد من الوقت في المدارس .إن عدم وجود مرافق ما قبل المدرسة للأطفال دون سن 3 سنوات ، والجداول الزمنية للفصول التي تسمح للأطفال بالخروج من المدرسة في الساعة الواحدة ظهراً، والسنة الدراسية التي تشمل أكثر من 3 أشهر من وقت الإجازة، كُلها عوامل تؤثر على درجة أعمال الرعاية غير مدفوعة الأجر التي تقوم بها المرأة. ومما لاحظناه، هناك شيء واحد واضح بشكل خاص: الفجوات بين الجنسين التي تؤثر بشكل كبير على إيطاليا ليست فقط غير عادلة للمرأة بل وتُسبب أيضاً أوجه قصور اقتصادية وأجتماعية.

رداً على ذلك، أظهرت المرأة الإيطالية استراتيجية تفاعلية ذات تداعيات إيجابية ليس فقط على نفسها ولكن أيضاً على النظام الأقتصادي بأكمله: إنشاء الأعمال التجارية. أحد الأرقام مهم

بشكل خاص: وفقاً لبحث Eurostat، تحتل إيطاليا المرتبة الأولى في أوروبا من حيث عدد رائدات الأعمال. قد تُشكل الشركات التي تُديرها النساء 22٪ فقط من الشركات في البلاد، ولكن من عام 2014 إلى 2020 أظهروا نمواً هائلاً: بالقيمة المطلقة، 3.5 أضعاف الشركات التي يُديرها الذكور. يبدو أنهم تأثروا بشكل هامشي فقط بجائحة الكورونا COVID-19: وفقاً لبيانات إتحاد الغُرف التجارية الإيطالية، أنخفض عدد الشركات التي تُديرها النساء بنسبة 0.29٪ فقط في عام 2020 .

إذا أخذنا بعين الأعتبار أن عام 2020 كان حقاً عاماً مُروعاً ، مع زيادة تقديم الرعاية غير مدفوعة الأجر للنساء الإيطاليات بحوالي ساعتين يومياً، والتعامل مع عدم اليقين على المستوى الفردي والنِظامي، فيمكننا الحفاظ على أن 0.29٪ يُشيرُ تقريباً إلى فعل مُقاومة من قِبَل رائدات الأعمال الإيطاليات. أظهرت دراسة المرصد لمنظمة كونفارتيجياناتو لومبارديا Confartigianato Lombardia للمؤسسات الصغير والمتوسطة في منطقة لومباردي بإيطاليا ، والتي ركزت بشكل كبير على قطاع التصنيع، أن الشركات النسائية أكثر فاعلية، حيثُ تتبنى، على سبيل المِثال، أدوات التخطيط الإستراتيجي بشكل مُتكرر (61٪ مُقابل 55٪). ويُسلط تقرير المرصد الضوء أيضاً على أن الأعمال التجارية النسائية الإيطالية تدعم رؤية من شأنها أن تُحدد الشركات الناجحة في المستقبل: ذهبت التطورات والإستثمارات إلى حد كبير إلى أُولئك الاتي عملن في المؤسسة، مما عزز مهاراتهُن وتدريباتهُنَ.

يجب تقديم المزيد من الدعم لرائدات الأعمال، عندما فتح صندوق المشاريع النسائية ، الذي أنشأه برنامج إنعاش حديثي الولادة NRP ، دعوته، نفذت الأموال في حوالي 30 ثانية – وهو رقم يتحدث بوضوح عن نفسه.

صفة الوجود
البرتغالي في الخليج العربي

د.محمد حميد السلمان

– من هم البرتغاليون؟

البرتغال، تلك المملكة الصغيرة الواقعة على الحدود البحرية الجنوبية الغربية لقارة أوروبا الغربية التي كانت تشمل منطقة محاذية لساحل المحيط الأطلسي حيث تُطل عليها البرتغال اليوم، وتقع بين نهري دورو (Douro) شمالًا، وتيجو (Tejo) جنوبًا. ويعود تأسيها في الأصل لـ (فرديناند الأول) ملك قشتاله وليون، في القرن الحادي عشر للميلاد. عندما نجح هذا الملك في إعادة السيطرة العسكرية على بعض أراضي إقليم «لويس تانيا» الذي كان بيد المسلمين. وكان يضم مناطق مهمة جدًا من أراضي شبه جزيرة (إيبيريا). وأطلق الملك على هذه المناطق تسمية «كونتيه البرتغال» واسبغ عليها طابعً سياسياً ومكانة استقلالية خاصة مع الحرص على تبعيتها لمملكة قشتالة وليون.

ثم تمكن (هنري البورجوني) أو (البورجاندي) وهو أحد الفرسان الصليبيين الذي قدم لشبه الجزيرة الإيبيرية من منطقة «الغال» أو «الـكال» في جنوب فرنسا لإغاثة إخوته في المسيحية كما قال؛ من تقديم خدمات كبيرة للملك القشتالي (ألفونسو السادس) في حروبه ضد هجمات المسلمين. فتمكن من استرداد إحدى المقاطعات من المسلمين تقع جنوب نهر (تيجو) وضمها لـ «كونتيه البرتغال». فمنح الملك (ألفونسو) «كونتيه البرتغال» بمناطقها الإضافية، لهذا الفارس «الـكالي» عام 1095م.

وعندما كَبر ابن هنري ويُدعى (ألفونسو هنريكز الأول)؛ تسلم مقاليد الحكم في هذه المقاطعة البرتغالية عام 1128م. ومن هناك بدأ حروبه الشرسة ضد مُسلمي الأندلس مقتفيًا مسلك والده ومواقفه من السيطرة الإسلامية على أراضي بلاد الأندلس. لذلك يُعدُّه بعض الأوروبيين المؤسس الحقيقي لمملكة البرتغال الكبرى، لأنه تمكن من تحويلها من مجرد «كونتيه» إلى مملكة مستقلة في شبه جزيرة (إيبيريا)، وبشكل أدق بعد أن استولى على مدينة وميناء أشبونة الإسلامي، أو «لـ شبونة» بالبرتغالية، وجعله عاصمة لمملكته عام 1147م، وتمكن من التغلب على القوى الإسلامية التي كانت تحكم مناطق شاسعة من بلاد الأندلس. ثم جاء مرسوم البابا (اسكندر الثالث) عام 1179، معترفًا باستقلال البرتغال، ومنح لقب «ملك» لحاكمها (ألفونسو هنريكز الأول)، مع وضع مملكة البرتغال تحت حماية البابوية، وعدم السماح لأي أمير مسيحي بالمطالبة بالأراضي التي استردها (ألفونسو هنريكز الأول) من المسلمين.

وتهيأت الأجواء السياسية تماما لـ (هنريكز) في شبه الجزيرة (الإيبيريه). بسبب ازدياد حدة الصراعات بين ملوك الطوائف الإسلامية فيها، وضعف إمكانياتهم لحمايةِ الموانئ الجنوبية لأقاليمهم؛ مما ساعده في القضاء عليهم تدريجياً، حتى لم يتبقى في منطقة البرتغال إلا جيوب إسلامية صغيرة في الجنوب. ثم بدأت هذه المملكة عملية ملاحقة المسلمين إلى الساحل العربي شمال المغرب الأقصى بشكل فعال في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، فيما عُرف بالحروب الصليبية الثانية.

اشتهرت المملكة البرتغالية الصغيرة بين أعوام 1415– 1515م. بسبب حروبها التي وصفت بالصليبية ضد الممالك الإسلامية في بلاد الأندلس، وقد شاركت فيها أسبانيا كذلك، لاسيما بعد إتحاد مملكتي»أرجون وقشتاله» عام 1469م بزواج ملكيهما، وبروز المملكة الأسبانية على المسرح السياسي الأوروبي، وسقوط غرناطة، آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس في عام 1492م. وفي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر؛ تبوأت مملكة البرتغال مكانة عالمية إبّان عصر الكشوف الجغرافية الأوروبية.

الاكتشافات الجغرافية البرتغالية:

كانت مملكة البرتغال، أول الدول الأوروبية الغربية التي وصل مستكشفوها بقواهم العسكرية الحديثة آنذاك، إلى مياه المحيط الهندي بين قارتي آسيا وأفريقيا، والمحيط الهادي جنوب قارة آسيا. فكانوا أول من بدأ بالسيطر على طرق التجارة الدولية بين موطن التوابل في جنوب شرق آسيا والقارة الأوروبية عبر رأس الرجاء الصالح أواخر القرن الخامس عشر للميلاد، على يد القائد البحري البرتغالي (فاسكو دا اما) بعد أن وصل إلى ساحل غرب الهند عام 1498م. واضعًا بذلك حجر الأساس للسيطرة البرتغالية في قارة آسيا، وقد سبق باقي الدول الأوروبية بأكثر من مائة عام. كما أسست البرتغال بين أعوام 1499 –1580 خلال بضع سنوات أول إمبراطورية أوروبية شاسعة، امتدت من شرق أفريقيا والخليج العربي إلى جزر أندونيسيا وبحر الصين، إلا أنها بقيت إمبراطورية الحواف أو الأطراف الجغرافية.

هل قصد البرتغاليون المياه الشرقية غزاة أم تجار؟

منذ البداية تركزت أهداف البرتغاليين تحديداً في البحث عن المناطق الرئيسة في العالم التي تُنتج «الذهب الأسود»، أو الفلفل الأسود، وهو أهم عنصر في مجموعة التوابل والبهارات الشرقية. وقد استخدم البرتغاليون في تحقيق تلك الأهداف قوتهم البحرية الأوروبية الحديثة آنذاك، التي اعتمدت على سلاح السفن عابرة المحيطات، والبارود بالمدفعية الحديثة حينها في القرن السادس عشر. ثم أسس البرتغاليون ما سُمي بدولة الهند: Estado da India.

تمكن البرتغاليون من السيطرة على طرق التجارة الدولية بتشديد قبضتهم على النقاط الاستراتيجية والجزر المهمة والمضايق البحرية التي تمر بها التجارة العالمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد. كما حاول البرتغاليون تغيير وجهة انتقال تلك التجارة بتحويل مسارها من الطرق التقليدية الداخلية الآسيوية إلى طريق المحيطات عبر رأس الرجاء الصالح إلى أوروبا. وادعاء السيطرة المطلقة على طرق التجارة الدولية عبر المحيطين الهندي والأطلسي؛ والتجارة البحرية وضرائبها. كانت كل النشاطات البحرية البرتغالية مدعومة ماديًا من كبار أمراء المال في مدينة (انتويرب–Antwerp) الهولندية.

البرتغاليون بين السيطرة والاستعمار:

أسس البرتغاليون إمبراطوريتهم البحرية حول حواف المحيط الهندي، بعد غزو الهند. في عام 1505، تحت إدارة أول نائب لملك البرتغال في الهند، المدعو فرانسيسكو دا ألميدا (Francisco da Almeida)؛ جرى تغيير حقيقي وملموس في السياسة البرتغالية تجاه عالم المحيط الهندي، تبعه عام 1507 غزو سواحل عُمان وجزر الخليج العربي على يد القائد البرتغالي المعروف (أفونسو دي البوكيرك – Afonso de Albuquerque).

حقيقة الاستعمار البرتغالي للخليج والبحرين:

بالنسبة لوصول البرتغاليين إلى الخليج العربي، لابد من ذكر حقيقة ظاهرة، بأن المنطقة لم تكن تتمتع بكثافة سكانية كبيرة، كما أن معظم السكان كانوا يتواجدون على الساحل. وحراك التجارة البحرية تركز أساسًا في تجارة العبور البحرية عبر مضيق هُرمز، وهي المصدر الرئيس لازدهار تلك المملكة وثروتها منذ مطلع القرن الرابع عشر للميلاد، خاصة تلك التي يأتي ريعها من بضائع الهند والشرق الأقصى، إذ كانت هُرمز أهم مثل بارز في الخليج آنذاك لتلك التجارة. أما الجانب الاقتصادي المُساند في الأراضي البرية؛ فكان يعتمد على سبُل الحياة المعيشية لمفاصل الحياة البدوية، ومن أهم عناوينها البارزة: تربية الماشية، والخيول. بالإضافة لتجارة القوافل– وبيع الخيول العربية والفارسية الأصيلة الذي كان يتم من موانئ شبه الجزيرة العربية الجنوبية والشرقية.

سيطر البرتغاليون بدايةً على جزيرة هُرمز عام 1508، وبشكل تام عام 1515م. كما وضعوا حامية دائمة لهم في قلعة المدينة، ومنها انطلقوا للسيطرة على أجزاء متفرقة من الخليج العربي بقوة صغيرة كانت متمركزة في جزيرة هُرمز أساساً. فبعد حوالى سبعة أعوام، أي عام 1521م، تم غزو جزر البحرين والسيطرة عليها بشكل غير مباشر أي ليس استعمارًا كما نُطلق عليه خطأ.

بموافقة من دييجو لوبش دي سيكيرا (Diego Lopes de Sequeira)، حاكم الهند بين عامي (1518–1522)؛ قام قائد الجيش البرتغالي في هُرمز، جارسيا كوتينهو (Garcia Coutinho)، بغزو جزر البحرين عام 1521، بمساعدة من ملك هُرمز «توران شاه الرابع»، الذي شجع البرتغاليين على احتلال البحرين من أجل القضاء على خطر الجبور، والإطاحة بحكم العرب فيها، ومن ثم تعزيز سيطرة البرتغاليين على منطقة جنوب غرب الخليج بشكل أكبر. وكانت الدوافع بجانب ذلك، هي طمع الهرامزة والبرتغاليين بثروة البحرين من منتجات زراعية، ومياه عذبة، ولؤلؤ، وهو ما تفتقر إليه هُرمز تمامًا.

وقد تم غزو البحرين عن طريق إرسال حملة عسكرية بعدد سبعة سفن ضد لفرض دفع الجزية على البحرين. أعطيت قيادة الحملة إلى أنتونيو كوريا (António Correia)، ابن أخ قائد هُرمز (كوتينهو)، وشرف الدين الفالي وزير هُرمز والمساعد الأول لملكها. تكونت الحملة من 400 جندي برتغالي، وعدد 3000 مقاتل هُرمزي ومن العرب أيضًا، تم نقلهم في أسطول مكون من 200 قارب من هُرمز تحت قيادة الوزير شرف الدين الفالي. فهل هذا هو شكل الاستعمار الذي نعرفه في الدراسات والبحوث؟؟ حملة على جز البحرين في الخليج، فقط لفرض دفع الجزية عليها!

هل نستنتطع القول بأن هُرمزَ كانت تُعدُّ رمزاً للاستعمار البرتغالي للخليج؟

ركز البرتغاليون جُل اهتمامهم على مملكة هُرمز أساسًا التي كانت تضم الجزيرة المسماة بُهرمز، وعدد سكانها كان لا يتجاوز الـ 40 ألفًا نسمة، معظمهم من أثرياء وتجار هُرمز وسواحل الخليج على الضفتين الغربية والشرقية بأكملهما تقريبًا. المُلاحظ بأن شاه هُرمز، كان يُدير دولة شبه تجارية، تتكون من مجموعة فروع متفرقة على سواحل الخليج تتبع هُرمز ضرائبيًا أكثر من التبعية السياسية العسكرية. كانت قلعة هُرمز الشامخة على أطراف الجزيرة شمالاً بين أعوام 1515 – 1622م؛ تشكل رمزاً للوجوده العسكري البرتغالي، أكثر من كونها رمزاً للاستعمار، لأن شاهات هرمزة بقوا على طريقة توارثهم للحكم أو اغتصابه، كما كانوا قبل حضور البرتغاليين. فقط جُلّ ما حدث هو تناقص قوتهم العسكرية بفعل كثرة الاتفاقيات مع البرتغاليين لغير صالحهم، وازدياد التمرد والثورات التي كانت تنشأ ضد البرتغاليين في أجزاء من المملكة الهُرمزية العُمانية تحديداً؟

فما هي صفة الوجود البرتغالي في الخليج العربي؟

إمبرطورية البرتغال تمحورت حول نقطتين رئيسيتين: (Estado da Iandia) وطريق (Carreira da Índia)، الذي وفر الرابط التجاري بين (Estado da Iandia) والبرتغال.

مملكة هُرمز تحت السيطرة البرتغالية، أبقت حرية الملاحة في الخليج لأنواع التجارة كافة، حيث شكلت حبل حياتها السري في البحر. ولا نُنكر بأن البرتغاليون قد استفادوا من هذا الوضع لدعم سيطرتهم على الخليج، ولكنهم فشلوا في استعماره بالمعني الحديث، كما هو معروف. مع أنهم اتخذوا من هُرمز، موقع القوة للسيطرة على طريق الشحن التجاري الإسلامي، وتقييد حركة المرور البحري إلى الهند ليس إلا. كما لم تتمكن السلطات البرتغالية من إغلاق الخليج تمامًا في وجه التجار المسلمين. وبالرغم من القوة العسكرية والسيطرة المتمركزة في مياه الخليج بميناء هُرمز؛ والسيطرة على نظام الضرائب في هُرمز أيضاً، الذي غدا برتغالياً؛ إلا أن التواجد البرتغالي في هُرمز كان قصير الأجل، لأن سوء الانضباط، وهبوط الروح المعنوية في العسكرية البرتغالية وانتشار الفساد الإداري والمالي؛ نسف كل جهود (البوكيرك) التي خطط لها لاستمرار الوجود البرتغالي في المنطقة، لذلك لم تتمكن هُرمز من الصمود وسقطت سريعاً عام 1622م.

إذن، إذا لم يكن الوجود البرتغالي في الخليج استعماراً كما هو مفهوم فماذا نُطلق عليه؛ وهل كانت الكشوف البرتغالية في المشرق ذاتها امتدادًا للحروب الصليبية الأوروبية؟ الموضوع مازال تحت النقاش المستمر.

هامش

«كونتيه»: في اللغة الإنجليزية (county)، وفي اللغة الفرنسية (comté)، تهني دويله صغيره أو مقاطعة يحكمها شخص من طبقة النبلاء أو علية القوم، لقبه «كونت» إذا كان رجلًا، أو «كونتيسة» (countess)، إذا كانت إمرأة. ومثل هذا اللقب كان يُطلق على النبلاء أو الشخصيات ذات الثراء والمركز الاجتماعي المرموق في أوروبا العصور الوسطى، وقد تم استخدام هذا اللقب منذ أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية، بإشتقاق من مصطلح (Comes) أو (comitis) باللاتينية، ويعني «مرافقو الإمبراطور» أو الحاشية بكلمة أوضح. وكانت مثل هذه «الكونتيات» منتشرة فى أوروبا في تلك القرون.

جلال الدين الرومي
كمـــا رأتـــه أليـــف شـــافـــكَ

على إثر قراءة أكثر من كتاب عن جلال الدين الرومي استقرّ بي المقام في نهاية المطاف للكتابة عن رواية «قواعد العشق الأربعون» لأليف شافاك، الروائية التركية التي بلغت شهرتها الآفاق لسحرّ ما تكتب، ملامسةً الواقع التركي ومستخدمة مادة التاريخ لخدمة الأغراض الروائية، فمن الطبيعي إذن أن يثمر هذا الشغف عملاً من أعمال الإبداع يستخدم التاريخ أداة من أدواته لتجسدّه واقعاً حياً في تلك الشخوص، ولن تجد الفكاك من تلك الجاذبية التي وصلتك بها الرواية فتشعر بأنك تعيش تلك الأحداث رغم بعد المسافات الزمنية.

حميد الملا

كان القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) الذي عاش فيه جلال الدين الرومي أو (البلخي)، نسبة إلى بلدته بلخ في أفغانستان، كما يسميه عناية الله إبلاغ الأفغاني في كتابه (جلال الدين الرومي بين الصوفية وعُلماء الكلام)، حافلًا بالأحداث: ظهور المغول بقيادة جنكيزخان وهولاكو وغزوهم للبلدان، ما أدى لهجرة عائلة الرومي إلى قونيه بتركيا هرباً من بطش المغول لبلاده أفغانستان.

وكما يذكر الكاتب إسحاق الشيخ في روايته «في حضرة جلال الدين الرومي» عن تلك المدينة «قونية نزيف مدينة عشق يتسامى شمسًا جللًا بين شمس الدين التبريزي ومولانا جلال الدين الرومي.. وهي مدينة تغطّ في غسق العشق بين المحبين والمُحبات العاشقين والعاشقات، قونية بهجة أرض فوّاحة ملونّة بالورود الفواحة التي تتراقص زهواً في جمال طبيعتها ..الخ»، قونيه تلك البلدة التي عكف فيها جلال الدين الرومي على تأليف أهم كتاب له وهو المثنوي ،هذا الأثر الذي اشتهر في الآفاق وهو أقرب بالنظم المزدوج والذي يضم ما يقرب من خمسمائة وعشرين ألف بيت، فقد كان شاعراً وميل إلى البحث في القضايا الفقهية والكلامية ونظم الحلقات الدراسية، وقال الكثير من الباحثين بأن الرومي «كان عالماً كبيراً، متعمقاً، ومفكراً عبقرياً خدم الإنسانية جمعاء بآثاره الخالدة التي لا تزال في قوّتها».

الصوفي العظيم والصيدلانيّ فريد الدين العطار قال عنه: «سوف يفتح هذا الغلام بوّابة في قلب الحبّ، ويُلقي بشعلة في قلوب كلّ عشّاق الصوفية»، أما الفيلسوف والأديب الصوفي اللامع محيي الدين بن عربي فكان مندهشاً عندما رأى الرومي الشاب يسير وراء أبيه يوماً، وقال: «العزة لله ! محيط يسير خلف بحيرة».

فلا عجب، إذن، أن تكتب عنه أليف شافاك تلك الرواية الشائقة (قواعدُ العِشق الأربعون) والتي تتناول فيها حياته بإسلوب قصصي بديع وبارع وسلس، حيث بلغ عدد صفحاتها أكثر من خمسمائة صفحة، قدّمتها بتقنية عالية، وأفادتها دراستها للصوفية دراسة مستفيضة وهي في العشرين من عمرها، كما ورد في مقدّمة المترجم.

زاوجت شافاك في اختيار شخوص روايتها بين الماضي والحاضر، ورسمت صورة جمالية حين بدأت بـ "إيلاّ"، وهي البطلة الرئيسية التي جرفتها الحياة وحوّلتها إلى ربة بيت، لها ثلاثة أطفال ومسؤوليات بيتية لا أول لها ولا آخر، الا إنها لم تتخلى عن ولعها بالكتب كما إنها اكتشفت بأنها تعيش زواجاً فاشلاً بسبب خيانات زوجها دي#يد لها، فتعيش قصة حبّ بعد أن استبد بها الفضول لمعرفة كاتب المخطوطة (تجذيف عذب) وهي رواية تاريخية صوفيّة تدور أحداثها عن العلاقة المدهشة التي ربطت بين الروميّ في العام 1244، "وهو أفضل الشعراء وأكثر الزعماء الروحيين مدعاة إلى الاحترام في تاريخ الإسلام، وبين شمس التبريزيّ، ذلك الدرويش المغمور الذي امتلأت حياته فضائح ومفاجآت"، والتي كانت تعكف على قراءتها وكان كاتب تلك الرواية والذي أحبته هو عين. زد. زاهارا، والذي أصبح اسمه فيما بعد عزيز زاهارا عندما أسلم ومشى في دروب التصوّف. لم تعرف "إيلاّ" بأن هذا الكتاب الذي كانت تقرأه سيكون الكتاب الذي سيغير حياتها إلى الأبد، فلقد كان كتاباً لا يشبه غيره من الكتب الأخرى التي قرأتها.

من هذا المنطلق يبدأ تسلسل الأحداث لتصل الروائية إلى مبتغاها وهو حياة جلال الدين الرومي وعلاقته بشمس الدين التبريزي. تلك العلاقة التي تحوّلت إلى صداقة قويّة وفريدة جعلت الصوفيين في القرون التالية يشبهونها كما تقول شافاق "بوحدة محيطين". وبفضل تلك الصداقة تحوّل الرومي من رجل دين اعتياديّ إلى "صوفيّ ملتزم وشاعر مشبوب العاطفة، مدافع عن الحب ومبتكر رقصة الدراويش الدائرية المثيرة".

وجد الرومي في شمس الدين التبريزي ما يعتبر مثالاً للزهد وبذلك انصرف كليّاً إلى الحياة الروحية على الرغم من أن التبريزي "كان شبه أمّي يتسم بالحماس الروحي العظيم في حديثه، وكان لكلامه أثر عظيم في نفوس من يستمعون إليه، وكان كثير التجوال"، كما ورد في كتاب عناية الله الأفغاني سالف الذكر .

ومع ذلك كان شمس الدين التبريزي يتعلم في غضون أيام على خلاف غيره من الدراويش بطيئي التعلم، إلى جانب أنّه يمتلك حبّ فضول مدهش بخصوص كلّ ما هو جديد وغير مألوف، فضلًا عن أنه كان دقيق الملاحظة في الطبيعة فهو لا يخاف أحداً ولا يطيع أحداً. انبرى شمس الدين التبريزي إلى إيصال أفكاره في التصوف إلى الرومي بطرق عديدة وعملية ومبتكرة من الحياة الواقعية وأوصله إلى ما يريد من خلال تلك الوسائل التي ابتدعها وأبدع فيها في الخلوات بينهما التي كانت تستمر ساعات طوال بل أياماً بلياليها، فأصبح شمس الدين التبريزي بعد تلك الخلوات الرفيق الروحي للرومي.

تطوف بنا الكاتبة إلى الحياة الخاصة لكلا الصديقين، وكيف أن حياة الرومي قد تغيّرت كلياً حتى في علاقته مع زوجته كيرا وأولاده، سلطان ولد وعلاء الدين بعد أن ظل في خلوته ملازماً للتبريزي، لا يستطيع فراقه فصار لايرى أحدًا، وحتى الخطابة التي كان بارعاً فيها هجرها، مما سبّب له الكثير من المشاكل مع مريديه ومُحبيه، فلم تعد حياته كما كانت عليه في ماضي الزمان إلى درجة أنّ الناس أخذت تتساءل عن تلك العلاقة، كيف يمكن لعالم محترم أن يجعل نفسه ألعوبّة بين يدي مهرطق؟ أنماطاً من البشر عرّف شمس جلال الدين بهم، حسن الشحّاد والغانية زهرة الصحراء وسليمان السكير وهم أشخاص عاديون أراد بهم أن يسلكوا طريق الصلاح، لا من خلال المحاضرات التي يلقيها الرومي في المساجد، وإنما للتعرف بالمشاكل الواقعية في الحياة، ليخرجه من برجه العاجيّ إلى الحياة البسيطة للناس ليكون قناة بينه وبين المظلومين في المجتمع.

فبعد أن ظهر شمس في حياة الرومي إتسعت دائرة الحب لديه لتشمل أكثر المنبوذين في المجتمع كالمومسات والسكارى والشحاذين وحثالة المجتمع إضافة إلى جميع المذاهب والأديان، فالحب والتسامح هو أقرب طريق يوصل السالك إلى ما يتمناه، فالتصوف تيقن يوجه النفس الصادقة إلى بذل الجهد للوصول إلى السعادة والكمال من خلال الحبّ.

وللرومي مقولة جميلة عن الحبّ "إننا غير مضطرين إلى مطاردة الحبّ خارج نفوسنا. كل ما ينبغي لنا عمله هو إزالة الحواجز الداخلية التي تُبعدنا عن الحبّ"، وللشيخ الأكبر محي الدين بن عربي والذي يُعد من أهم رجال التصوف قول في الحبّ والتسامح والأخوّة بديع جداً إذ يقول:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
وقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدينُ بدين الحُبّ أنّي توجهت ... ركائبه فالحُبّ ديني وإيماني

وتختتم شافاك روايتها بهذه الجملة المعّبرة "ليس للحبّ أسماء ولا تعريفات، هو ما هو، شفاف وبسيط. هو ماء الحياة، والعاشق روح النار! والكون يصبح كوناً مغايراً عندما تحبّ النارُ الماء"، ومع كل ذلك لا يعفي المتصوفة من إنهم متهمون بالخنوع والإتكالية والخضوع المبالغ فيه والتسليم بواقع الظلم الاجتماعي والسياسي.

القيثارةُ الوتريَّة.. رمزُ إبداع الحضارة الدِلمونيَّة

لعل من أبرز السمات الملحوظة في المُجتمع البحريني تلك العلاقة الوثيقة بين الإنسان والدين وبين الإنسان والفن أو الإبداع بوجهٍ عام على الأرض ذاتها، إذ يمتاز سُكان هذه الجزيرة بمزاجٍ شاعري مُرهف يُغذّيه هواء البحر الذي تعزف أمواجه على سواحلها الدافئة من جميع الجهات، ومن هذا المزاج الشاعري انبثقت الإبداعات الفنيَّة الدِلمونيَّة منذ ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، وتم تسخير بعض أشكال الإبداع الفني لتكون في خدمة المعابد والطقوس الدينية المُقدَّسة. عام ١٩٥٥م تم اكتشاف بقايا آلة اجتمع فيها الفن التشكيلي والموسيقي تحت أرضية المذبح الرئيسي في معبد باربار الثاني الأثري، من هذا الاكتشاف انطلَق اهتمام الفنان التشكيلي الباحث البحريني المُهتم بشأن الحضارة الدّلمونيَّة/ محمود عبد الصاحب البقلاوة، وقرر أن يتخذ موهبته في الفن التشكيلي وسيلة لتصميم رسم هندسي يصوّر شكل تلك الآلة الموسيقية مُستعينًا بزاده المعرفي المُقتبَس من أبحاثه التاريخية وقراءاته المُتعمِّقة في هذا المجال ورحلاته بين المتاحف العالميَّة إضافةً إلى ما رآه من صور اللُقى الأثرية ولا سيَّما الأختام الدّلمونيَّة ذات النقوش والرسوم التي نقلت صورًا من مشاهد الحياة الواقعيَّة على أرض دِلمون، فيهبُ جانبًا ثمينًا من وقته ومجهوده لصنع تلك الآلة من موادها الأوَّلية المعروفة في ذاك الزمن ليكون جسم القيثارة من لحاء الشجر وأوتارها من امعاء الماعز، ثم يؤلف عنها كتابًا يُمكن اعتباره مصدرًا قيمًا من مصادر المعلومات التاريخية على أرض البحرين بعنوان: "قيثارة دِلمون الوتريَّة".

الأدلَّة الماديَّة على وجود القيثارة:

لوجود قيثارة دِلمون في ذاك العصر أربعة أدلَّة ماديَّة عدَّدَها المؤلف في الكتاب، أولها (رأس الثور) الذي يُعتبر جزءًا من مُقدمتها، والذي تم اكتشافه في المعبد الثاني من مُجمع معابد باربار، ثانيها (الأختام الدلمونيَّة)؛ لا سيما أختام جزيرة فيلكا الموجودة في متحف الكويت الوطني، ثالثها (النصوص الأدبية والتجارية) باللغة السومرية والأكدية التي كُتبت بالخط المسماري مُشيرة إلى قيثارة دِلمون، ورابعها القيثارات الموجودة في المتاحف العالمية والعائدة لحضارات الشرق الأوسط وبلاد وادي الرافدين حيث كان الاتصال الثقافي قائمًا بين جزيرة دِلمون وبينها.

المُعتقد الديني الدّلموني:

يذكر المؤلف أن كثرة المعابد المتنوعة والمُتعددة وكثرة المدافن المُختلفة تؤكد أن المُعتقد الديني الدلموني كان قائمًا على عبادة الآلهة؛ خضوعًا وعجزًا واعترافًا بمحدودية الكائن البشري أمام ما هو أشد وأعلى منه، كما أن وجود تلك المعابد في حُقَب دِلمون؛ بدءًا من معابد باربار الثلاثة حتى معبد موقع مُدن دِلمون القديمة مرورًا بمعبد عين أم السجور ومعبد الدراز ومعبد مستوطنة سار في الطرف الشمالي لجزيرة دِلمون فيه دلالة على أهمية المُعتقد الديني المُقدس في حضارة دِلمون وتايلوس، وحسب ما جاء في ملحمة «كَلكَامش»؛ تكون أرض جزيرة دِلمون هي الموطن الإلهي الأصلي الذي احتضن البشرية قبل الطوفان وبعده بفضل الإله الذي أوحى للمبعوث الحكيم «زيوسودرا» الطريقة المُثلى لتأدية تلك المهمَّة، وفي أرض كان للمعتقدات الدينية فيها تأثيرًا كبيرًا على المُجتمع؛ كان العزف على «قيثارة دلمون الوترية» يُرافق الشعائر الدينية في المعابد الدلمونية، وهو ما يتوافق مع تقرير بعثة التنقيبات الأثرية الدنماركية الذي أشار إلى القيثارة في كتاب «معابد باربار الأثرية» قائلاً: «الموسيقى كانت ميزة ملحوظة للمراسم الدينية السومرية، والكثير من التصويرات عن الأداء الموسيقي قد وصل إلينا مُشتملاً على بعض المشاهد الآسِرة التي تصوِّر الحيوانات على أنهم موسيقيون. إنما في مراسم المعبد في باربار؛ يجب الافتراض بأن ألحانًا رنَّانة مهيبة كانت تتعالى من الساحات لتعويذ الآلهة، وكان إنشاد الكهنة بلا شك يتناغم مع صوت المزامير والقيثارات والناي وآلات النقر التي تضم الطبول والمخشخشات، وشيئًا يُشبه آلة الصنج التي تُصدر صوت الصلصلة».

القيثارة ورأس الثور المُكتشَف:

عام 1955م اكتشفت البعثة الدنماركية للتنقيب عن الآثار في البحرين بقايا رأس ثور منحوت من البرونز تحت أرضية المذبح الرئيسي في معبد باربار الثاني، وبالنظر إلى كون الثور مُقدسًا في دِلمون باعتباره رمزًا لقوى التكاثر والتناسل واستمرارية الوجود، إضافةً إلى أن تقديم القرابين – ولا سيما إن كان القربان ثورًا– كان يُرافَق بعزف لتهدئة هذا الثور؛ فوقَ ما يُمكن استنتاجه بعد الرجوع إلى الرسوم والنقوش الأثرية والأختام الدلمونية اكتشف الباحثون أن هذا الرأس كان جزءًا من مُقدمة قيثارة خشبيَّة وتريَّة كانت تُستخدم في الطقوس الدينية أو الخاصَّة، وبهذا الصدد يؤكد المؤلِّف: "إن العثور على رأس الثور البرونزي والذي يعود إلى قيثارة معابد باربار عام 1955م مع اكتشاف بقايا آثار القيثارة التي تحللت موادها الخشبية بسبب الظروف البيئية والعوامل الطبيعية يُعد دليلاً أثريًا حاسِمًا على وجود قيثارة دِلمون الوترية الخاصة.. صـ 77صـ 81".

الأختام الدلمونية والقيثارة:

كانت الأختام الدلمونية شاهدًا على وجود «قيثارة دِلمون الوتريَّة» في تلك الحُقبة الزمنيَّة، وعن هذا يقول المؤلِّف عى صـ113 من كتابه: «من بين الأدلَّة الأثريَّة لبقايا آثار القيثارة الدلمونية الأختام المُكتشة في المواقع الأثرية لحقبة دِلمون في جزيرة فيلكا بالكويت، والتي تُشير في تصويرها الفني البديع إلى القيثارة المكونة من جسم ثورين يجلس خلفهما عازفيعزف على أوتارها بأصابعه، مع وجود بعض التفاصيل في الختم لرأس الثور الذي به عينان واسعتان مجوفتان».

القيثارة والنصوص القديمة:

تضمَّنت الرقم الطينية المدونة بالخط المسماري على معلومات تشير لاستخدامات ما أُطلق عليه «قيثارة الرثاء الوتريَّة» بصيغ مُتعددة ذكَر الكتاب منها: «القيثارة/ عازف قيثارة الرثاء/ قيثارة أور/ قيثارة دِلمون»، ويُضيف المؤلِّف: «إن الدليل الكِتابي الدال على قيثارة دِلمون يشير إلى أن هناك شُحنة تجارية آتية من دِلمون عبر بلاد وادي الرافدين إلى حضارة إيبلا في الشام، ومن ضمن هذه الشحنة قيثارة دِلمون.. صـ128».

زينب علي البحراني

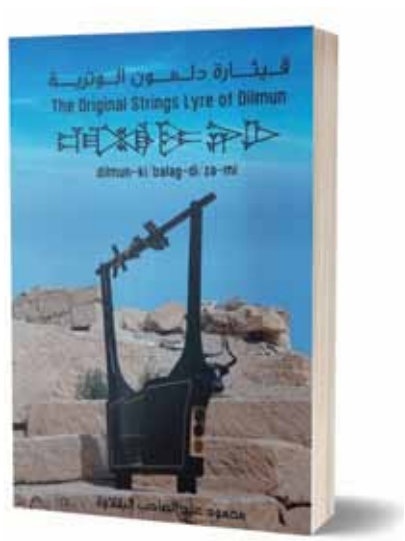

العين مرآة النفس

تشيخوف وأنهار سيبريا الخمسة

النظرة إلى ماحولنا ليست فقط محض «مشاهدة» سطحية تسجيلية للواقع، بل «رؤية»: ترصد، تحلل، تفهم، تقتنص تفاصيل المشهد، وتخزنه في الذاكرة. لاحقًا قد تتم اعادة انتاج المشهد في نص أدبي، أو عمل فني، يساعدنا علي فهم أعمق لما شاهدناه. هذا ما فعله تشيخوف في كافة أعماله. ولكنه ترك لنا أيضًا نصائح ثمينة في ثنايا رسائله، يشرح فيها علي سبيل المثال لا الحصر، تقنيات وصف المشاهد الطبيعية. تساعدنا تلك النصائح في فهم كيف كانت عين تشيخوف «ترى» بمنظور يتجاوز المشاهدة السطحية. وبهذا المعنى من الجدير إعادة صوغ التساؤل التشيخوفي: «شاهدت كل شئ، ويبقى السؤال ليس عما شاهدته، بل كيف رأيته». ليصبح: ليس فيما كتبه، بل كيف كتبه؟

محمد ديتو

فيما يتعلق بوصف الطبيعة علي سبيل المثال هناك نصيحة شهيرة نجدها في رسالة مؤرخة إلى شقيقه ألكسندر بتاريخ 19 مايو 1886 يقول فيها: «أوصاف الطبيعة يجب أن تكون قصيرة ومباشرة... ركّز على التفاصيل الصغيرة، وقم بتجميعها بطريقة تجعل القارئ عندما ينتهي من القراءة ويغلق عينيه، قادرًا على رؤية صورة كاملة» وفي رسالة أخرى إلى أحد الكتاب المبتدئين، ألكسندر جيركيفيتش، 2 أبريل 1895ينصحه تشيخوف:» أعتقد أنه في القصص مثل قصتك، ستكون أوصاف الطبيعة مناسبة فقط عندما تساعد في توصيل الحالة المزاجية، كما تفعل الموسيقى في اللحن.»

الباحث «جوليان كونولي» يلخص كل ذلك بقوله إن تشيخوف «يخفض الوصف إلى الحدود الدنيا معتمدًا على تفصيل محدد مختار لإثارة مزاج أو إحساس». ولكن كيف ينتقي تشيخوف تلك التفاصيل «الصغيرة» ؟ السرّ يكمن في كيفية تعامله مع ذاكرته. عندما طلب منه أحد الأدباء ذات مرة أن يكتب انطباعاته عن مدينة «نيس» الفرنسية، إعتذر منه تشيخوف في رسالة مؤرخة بـ 15 ديسمبر 1897 قائلا بأنه لايستطيع فعل ذلك إلا بعد عودته إلى روسيا. «لا يمكنني الكتابة إلا من خلال الذكريات... ذاكرتي تعمل مثل «الفلتر» الذي يستخلص من الموضوع ما هو مهم ومميز فقط.» لا غرابة اذا علمنا أن تشيخوف كتب قصته الشهيرة «في العربة» عن شقاء معلمة في إحدى قرى الريف الروسي، بينما كان يتعالج في مدينة «نيس» بفرنسا. كانت ذاكرته اليومية تستحضر روسيا حتى وهو في أوساط الريفيرا الفرنسية.

لن نعيد سرد مقاطع وصف الطبيعة كما وردت في كتابه» في سيبريا»، ولكن سنحاول تلمّس «تقنيات» الرؤية التشيخوفية في ثنايا رسائله التي بعثها خلال رحلته، وبعض المقاطع من كتابه. سنختار بعض المشاهد التي توحي بتقلبات مشاعره تبعا لما يراه. سننطلق في اختياراتنا من وحي مقولة

أنطون تشيخوف

شهيرة قالها ذات مرة الشاعر السويسري من القرن التاسع عشر هنري فريدريك إميل: «كل منظر طبيعي يجسد حالة نفسية، ومن يتعمق في تفاصيل كليهما، سيدهش لدرجات التشابه بينها».

يمكن اعتبار أوصاف تشيخوف عن الأنهار الخمسة التي سافر فيها بمثابة «بارومتر» لمزاجه من بداية رحلته حتي نهايتها. كل مشهد طبيعي يتضمن بداخله بورتريه (صورة ذاتية) لنفسيته، أو بتعبير معاصر «سيلفي» نفسي.

إنطباعاته عن نهر «الفولغا»، على سبيل المثال، نتعرف عليها عبر رسالة كتبها إلى شقيقته (23 ابريل 1890) من على متن الباخرة النهرية: « بعد وصولي الى «ياروسلاف» بدأ المطر بالهطول بقوة، مما دفعني للالتحاف بمعطفي الجلدي. إنطباعاتي الأولي لنهر الفولغا تمّ تسميمها بالمطر، والنوافذ المبللة بقطرات الماء كأنها دموع ... الشمس تختبئ خلف السحب، و السماء ملبدة بالغيوم، ونهر الفولغا الواسع يبدو قاتما.... كل ذلك يثقل النفس بالكآبة.. لا أستطيع الإشادة بجمال المشهد أمامي، فالبرد قارس، وأشجار البتولا عارية، وهنا وهناك تطفو بقع من الثلج على المياه – بإختصار ذهب الجمال الى الجحيم ! «كل ما تلتقطه عين تشيخوف، ينعكس كالمرآة في أعماق نفسيته: «لا أشعر بالبهجة ولا الضجر، كل مافي الأمر أن روحي أصابها ضرب من الخدر، لا أرغب في الحركة ولا الكلام».

بعد عبوره «نيجني – نوفغرود»، وصل الى «كازان»، حيث إستقل باخرة نهرية متجها الى «بيرم» في رحلة عبر نهر «كاما» استغرقت أربعة أيام. لم يتحسن مزاجه على الإطلاق (24 ابريل 1890): «نهر الكاما ممل للغاية. للإحساس بجماله على المرء أن يكون من السكان المحليين، جالسًا بلاحراك بقرب كومة من الأسماك المجففة ويتعاطي الشراب حتى الثمالة. ضفاف النهر قاحلة، الأشجار عارية، والأرض بنية باهتة. هناك رياح لا يستطيع حتى الشيطان نفسه أن ينفخها بشدّة وكراهية. عند هبوبها تعكر المياه حتى تصبح بلون القهوة.. كل ما يشعره المرء هنا يتلخص بالبرد والملل والبؤس...البلدات على ضفاف الكاما رمادية، ويبدو أن جلّ ما يفعله سكّانها هو إنتاج الغيوم والملل والوحل في شوارعها».

جزء كبير من مزاج تشيخوف المضطرب في رحلته عبر شرق سيبريا، يرجع الي

نهر الينيسي في سيبريا

اختياره الخاطئ لموعد سفره. وكما يلاحظ الناقد «دونالد رايفيلد» فإن تشيخوف سافر «إما مبكرا قبل اسبوعين، أو متأخرا بأربعة أسابيع» ، ويقصد بذلك أن ذوبان الثلوج وانتهاء فصل الشتاء وما ينجم عنهم من فيضانات في الأنهار وتقلبات الطقس الحادة ستصاحبه من منطقة الى أخرى، ومن نهر الي آخر. ما زاد في الطين بلة، انعدام خبرة تشيخوف في مثل هذا النوع من الرحلات. ها هو يكتب إلى شقيقته (في رسالة 28 مايو 1890) : «في السفر تتجلى عدم كفاءة المرء في الشؤون العملية. أنا أصرف نقودًا أكثر من حاجتي، وأرتكب الأخطاء فيما أقوله وأفعله، ودائما أتوقع ما لن يحدث لي.»

في السابع من مايو 1890، وفي أحد الأكواخ التي قضى فيها ليلته للاستراحة، كتب رسالته الشهيرة الى ماريا كيسيليوفا، التي أفصح فيها – بصورة نادرة – عن مايعتمل في أعماق نفسيته: «حلّ الظلام. لم يقل السائق شيئًا. كان في حيرة من أمره. لكننا في أخر المطاف وصلنا إلى رقعة الأرض التي تفصل نهر «الارتش» عن البحيرة... كانت ضفة النهر على إرتفاع ثلاثة أقدام عن الماء، طينية وزلقة، وموجات المياه العكرة تصفق الضفاف بعنف، لكن «إرتش» لم يهدر ولم يزأر، بل كان يصدر صوتًا غريبًا، كما لو أن شخص ما يسمر تابوتا في قاعه.... ها أنا جالس في كوخ وسط بحيرة على حافة النهر، أشعر بالرطوبة تخترق عظامي، والوحدة في أعماق روحي.أسمع قرع «الارتش» على التوابيت، وعواء الرياح المستمر، وأتساءل: أين أنا؟ لماذا أنا هنا؟ «.

هذا السؤال الوجودي المنبعث من أعماق نفسيّة تشيخوف المتأزمة، يبدو كصدى لصوت النهرالذي يسمعه، وتجسيدا لفكرة أن النفس مرآة الطبيعة.

بدأ مزاج تشيخوف بالتحسن في مطلع يونيو عندما شاهد لأول مرة نهر «الينيسي». في رسالته إلى شقيقته في 6 يونيو 1890، بعد خروجه من كراسنويارسك في المساء، كتب تشيخوف: «نهر الينيسي واسع، سريع، متعرج، وأجمل من الفولغا ...لقد عوضني منظر الجبال والينيسي عن كل متاعب ومشقة رحلتي حتى الآن.» ويقول لاحقا، في مطلع الفصل التاسع من كتابه «في سيبريا» مايلي: «المناظر الطبيعية التي طالما تغنى بها الشعراء تبدأ بعد نهر ينيسي.. دعنا نقول بدون أي إهانة للمعجبين الغيارى علي نهر الفولغا بأنني لم أر في حياتي مايفوق روعة الينيسي. قد يكون الفولغا نهرًا جميلًا ومتواضعًا وحزينًا، ولكن من جانب آخر، فإن نهر الينسي عبارة عن هرقل بكل قوّته وعنفوانه، ولايعرف ماذا يفعل بقوّته وشبابه. علي نهر الفولغا يبدأ الانسان بروح عالية، ولكنه سينتهي بتأوه يسمى أغنية. ستتحول آماله الذهبية إلى عجز تعارفنا علي تسميته بـ»التشاؤم الروسي»، بينما تبدأ الحياة في ينيسي بتأوه وتنتهي بمعنويات عالية لايمكننا أن نحلم بها. «لا يمكننا بعد قراءة هذه المقارنة إلا أن نتساءل مع أنفسنا: هل حياتنا كنهر الفولغا؟ ألا نرغب في أن نكون مثل نهر الينيسي؟».

تزامن وصول تشيخوف إلى غرب سيبريا مع تغيّر جذري في الطقس، فالشمس مشرقة والهواء عليل، ومناظر الطبيعة بتنوّعها وسحرها تخطف الأنفاس، خاصة في بحيرة بايكال ولاحقًا نهر الآمور. في 20 يونيو 1890 يكتب إلى «لايكين» من على ظهر سفينة تبحر في نهر آمور: «مزاجي شبيه بمن إجتاز اختبارًا بنجاح». ويكتب إلى شقيقته في 23 يونيو 1890 عن نهر الآمور: «لقد إجتزت أكثر من ألف كيلومتر مبحرًا في نهر الآمور، وشاهدت ملايين المناظر الطبيعية الخلابة. أشعر بالدوار من النشوة ...يا لها من مشاهد جميلة». بعدها بثلاثة أيام في 27 يونيو 1890 يكتب رسالة إلى سوفرين يصف فيها تجربته: «أنا غير قادر على وصف جمال شواطئ الآمور. أنا في حيرة تامة أمام هذه المهمة، وأعترف بإفلاسي. كيف يمكن للمرء أن يصفها ؟ .. الصخور والغابات والآلاف من البط البري ومالك الحزين والأراضي الشاسعة .. كل شئ في ذهني مشوّش... أنا في حالة غرام بنهر الآمور، وسأكون سعيدًا لو قضيت بضع سنوات علي ضفافه.هنا الجمال والفضاء الواسع والحرية والدفء. أدنى سجين هنا سيتنفس بحرية تفوق أعلى الجنرالات رتبة في روسيا».

لم تستمر نشوة تشيخوف بسحر الطبيعة علي ضفاف آمور طويلًا. فبعد مغادرته نيكولايفسك، المدينة المطلة علي المحيط الهادئ، متجهًا إلى وجهته الأخيرة ساخالين، ترك لنا وصفًا جديرًا بأحد مشاهد أفلام هوليود الأسطورية للحظة وصوله الجزيرة: «عندما ألقينا المرساة في التاسعة مساء كانت الحرائق الكبيرة تشتعل في خمسة مواضع. لم أتمكن من رؤية أرصفة الميناء والمباني بفعل العتمة والدخان المنتشر في الأجواء. لمحت أضواء المخفر الشاحبة وميّزت إضائتين باللون الأحمر. وبدا لي شيئًا خياليًا المشهد الفظيع الذي تشكل من الظلام الحالك، وأشباح الجبال والدخان واللهب وألسنة شرارات النار... على الجانب الأيسر من المشهد كانت ألسنة النيران تشتعل بضراوة، ومن فوقها الجبال التي تعلوها هالة حمراء بفعل الحرائق البعيدة.. بدا الأمر كما لو أن سخالين بأكملها اشتعلت فيها النيران. ..والدخان يغطي كل شئ كما في جهنم."

لقد وصل تشيخوف إلى "بقعة الآلام التي لاتحتمل".

انتحـــــــــــار

تفتح مقاطع الفيديو التي تتناول الأوقات الأخيرة، أو الساعات تحديداً، في حياة أشخاص أنهوا حياتهم بنفسهم، تساؤلات كبيرة، حول تحديد المصير عبر قرار إنهاء الحياة فوراً، وأنه ليس بالقرار السهل على الإطلاق، أو هكذا يخيل لكل الذين يشاهدون الصورة المتحركة في أسى، حيث يقطبون حواجبهم قليلاً، ثم ينتقلون إلى غيره من المقاطع المتاحة على الشبكة التي تجلب أي شيء. فتصبح مقاطع ما قبل الموت حالات عابرة، لا تستدعي التأمل أصلاً، في ظل كل هذه الفوضى التي تشغلنا طول الوقت.

ويقيناً أن قرار الانتحار لا يؤخذ في لحظات متسرعة؛ بل إنه يستغرق وقته، حتى الوصول للحظة الذروة غير المحسوب قدومها المرتبط بالحسم والتنفيذ، وقبلها يكون الشخص قد مرّ في مراحل مخاض متعددة من فقدان الأمل، واليأس ظاهرياً أو في الخفاء، يجعل نهايته حزينة أكثر من فكرة الموت الذي لا يكون وضعاً مؤقتاً بالتأكيد؛ إنه خط لا رجوع عنه، ولا أحد يفهم ماهيته، إلا كونه فقداً موجعاً لمن يهمه أمر الراحل فقط.

زهراء المنصور

ضمن هذه الفكرة، يتناول عرض «جوه الصندوق» موضوع الانتحار بشكل بسيط ومباشر، عبر شاب راغب في الانتحار، يستعيد بتقنية استرجاع الحدث ما دفعه لذلك، من فشل وضغوطات دعته لمحاولة إنهاء حياته؛ التي تقطعها فتاة جاءت إلى نفس المكان، ولفعل الأمر نفسه. وبعد حوار قصير بينهما حول أولوية من يقدم على هذا الفعل أولاً، يتفقان على الانتحار، لكنهما يفاجآن بمجموعة كبيرة معهما، تمسك أيديها ببعضها استعداداً للقفز الجماعي!

كل منهم مسكون بأسبابه التي دفعت به إلى حافة مرتفع الموت. والحقيقة أن المشاكل التي ذكرت متراوحة، أو ربما هي خاضعة لتعاطي وتعاطف الجمهور مع الحالة؛ مثل الوالد الذي شعر بالأسى بعد أن دفع بابنه الوحيد، الطالب الجامعي الطموح، للهجرة غير الشرعية حتى يتحسن مستواهم مثل أصدقائه، ويستطيع بسهولة جلب الكماليات ليسايرهم في نمطهم «المستحدث»، ويكون من المتوقع جداً أن يخسر ابنه في رحلة الموت. لذا فشعوره بالأسى يفوق أي شعور آخر، أو ربما يوازي شعور الأم التي فقدت طفلها عبر والده الذي يقوم بـ«تأجيره» لمتسولة تستدر عطف الناس به! الفقد هو الحالة الوحيدة التي لا تعويض فيها؛ إما التسليم بإيمان، أو اليأس بحسرة، وما بينهما تظل فكرة الموت معلقة ومعقدة.

كذلك باقي المقدمين على الانتحار، الذين يشعرون بخسارات فادحة تغلق أمامهم أبواب الحياة – وإن كانت تعتبر بسيطة بالنسبة لآخرين – مثل فقدان سيارة الأجرة، وهي مصدر الرزق الوحيد، أو إنكار الولد لوالدته الأرملة التي أفنت حياتها ومالها من أجله، أو ذلك الطبيب الذي استعجل الموت ليقينه أن العلاج لا جدوى منه بالنسبة لتقدم حالته.

وحتى مشكلة البطل الرياضي الذي أجبر تحت قهر الحاجة وعدم وجود فرصة عمل له، أن يبيع لميداليات التي حاز عليها سابقا، دون أن يلاقي مشتري لإنجازاته» وهو يعبر عن شريحة كبيرة تشبهه في الظروف؛ هذه الأسباب، وغيرها مما يمكن النقاش فيه، وإيجاد الحلول وسبل الخلاص، وحتى المشاكل الكبيرة الظاهرة، لها أيضاً منافذ لا يراها صاحب المشكلة.

ورغم أن كل ما حكي حزين ودليل أسى، لكن الشكل الخفيف الكوميدي كان يطغى على الحدث، وهي قصديّة أتصور أن المخرج تعمدها من أجل إيصال هذه الرسالة ببساطة للجمهور الحاضر، والذي لاحمه بالعرض، عبر توجه ممثلتين لهم مباشرة، وسؤالهم خارج شخصيتيهما بـ«جوه الصندوق» عن ماهية الانتحار، وفهمهم له، وتعاطفهم مع الممثلين، لتفاجأ بردود من مختلف الأعمار تعلمك أنك لست وحيداً في الحياة! هذه الأفكار، التي تطرأ لأي منا في لحظات الضعف الإنسانية، قد تكبر وتلتهم باقي الأمل في تغير الأحوال، أو زوال الهم وقرب الفرج.

لا خلفية كافية لديّ لمعرفة توجهات صندوق التنمية الثقافية المنتج لهذا العرض، والتابع لوزارة الثقافة المصرية، والذي يؤكد في أهدافه المعلنة أنه «يسير بخطى مدروسة لتحقيق مفهوم التنمية الثقافية الشاملة، ونشرها لدى مختلف فئات الشعب..». والجملة الأخيرة تبرر إقامة «جوه الصندوق» في قصر «الأمير طاز» التاريخي البديع، والذي يقع في منطقة شعبية بالقاهرة القديمة، تسكنها فئات ربما ليست من أولوياتها التوجه لحضور عرض

مسرحي في إحدى دور العرض، والحضور مجاني أيضاً، وهذا يعني إتاحة الفرصة لكل المسرحيين المهتمين وكل سكان المنطقة أيضاً وما حولها من راغبي مشاهدة العرض، حتى ولو كان من باب «الفرجة»، الذي نادى بها أحد طاقم العرض قبل بدئه مقابل القصر والشارع الموازي له، معلناً عن عرض مسرحي مناسب للجميع.

فالمسرح هنا يقام في بيئته، وهذا أمر عظيم، وتخطيط سليم، في ظل تراجع الجمهور، أو قلقهم من حضور عروض قد تبدو عصية الفهم، أو معقدة بالنسبة لغير المتخصصين أو المهتمين بفن المسرح. كما أن الخطة تقتضي بأن يكون موقع العرض التالي في «بيت السحيمي»، وهو أيضاً بيت تاريخي يوجد في شارع المعز الحيوي جداً الذي يعج بالناس من كل الفئات والجنسيات يومياً، وهذا يؤكد الرغبة في حضور جمهور غير ذاك الذي يُرى في قاعات المسرح أثناء العروض، مما يدعو للتفكر والمقارنة حول الدور الذي يقيمه هذا التواصل الحميم مع المسرح، ولم لا يكون الأمر ذاته لدينا في نوعية العروض، وطريقة استقطاب جمهور مختلف للمسرح؟!

ولم يفُت العرض تصدير البساطة في الفكرة التي كتبها وأخرجها الفنان إسلام إمام، وهو ما انعكس على قطع الديكور البسيطة جداً، والموفقة في تعدد الاستعمال حسب الموقف –في هذا الموقع المفتوح–، والإضاءة للفصل بين حكاية وأخرى، في تداخل غير ممل على الإطلاق. فالاعتماد كان على اختيار الممثلين الذين أجادوا في أدوارهم، والتنقل من شخصية لأخرى، بسلاسة تحسب لهم ولتوجيهات الإخراج، وربما هم طبقوا عنوان العرض؛ فداخل الصندوق يعني أن تخضع لمسلّماتك، وتساير كل ما فعلته سابقاً، دون التفكير في التغيير، أو تبذل قليلاً منه كنوع من التمرد أو الثورة على ما تم الاعتياد عليه. هذا يعني الاستسلام للظرف، إذ إن جميع الشخصيات كانت منقادة لمصيرها الإجباري الذي تذهب إليه بمحض إرادتها. لكن العرض لم يكمل في اتجاه اليأس والانتحار، ليجعلهم ينتقلون إلى فكرة بعيدة عن الأولى؛ خارج الصندوق.

ورمز العرض على وضع أمثلة عدة توضح –بشكل «سطحي»– مقصود أسباب إقدام هذه المجموعة على فعل الانتحار بهذه البساطة، وربما «الفنتازيا» التي تحيل إلى تبسيط الفكرة، ونفاذها إلى متلقيها، وهذا أمر يحسب للعرض جداً. فيما أن إقرانه بأهداف الجهة المنتجة، لم يُشعر المتفرج بحدث «الموت» المفزع، أو المؤلم، الذي يقبل عليه كل هؤلاء، كأنَّ الغرض منه عرض المشكلة فقط، وتقريبها للمتلقين، دون المساس ببشاعة الفعل نفسه، وما يترتب عليه من آثار للمحيطين أو للمجتمع.

لكن ربما غاب عن العرض إغفال فئة مهمة تنتحر أيضاً، وتقبل بكامل وعيها نحو ذلك، وهم الناس الذي يفرطون في سلب الحياة من أنفسهم، قطرة وراء قطرة، حتى مرحلة الجفاف الذي ينهي حياتهم، كما الزرع الحي تماماً. وأكيد أن لدى كل منا حكاية مباشرة شهدها، أو سمع عنها، تصب في هذا الطرح؛ مثل ذاك الزميل الذي اكتشف في عمر مبكر أنه «لقيط»، وأن أسرته المتبنِّية أخذته –بعد سنتي زواج أولى بلا أطفال– من مكانه مع آخرين مثله، كان اعتاد العيشة المشتركة معهم، بيد أنهم رُزقوا لاحقاً بأطفال، صار هو أكبرهم بمسافة عمرية، ومع الوقت بدأت العزلة التي جاءت طبيعية نتيجة حساسية وضعه، وضاعفت المسألة أيضاً وفاة الوالد الحنون الذي أخذ قرار التبني منذ البداية. ولأن المشكلة وجودية أصلاً في معرفة نفسه، وسؤاله عمن يكون، ومن أهله، وظروف تخليهم عنه، ومحاولة تحليل أي شيء فيه يدله عليهم، دون جدوى. بدأت أولى المشاكل بالتعبير عن هذا الضيق بشراهة وإفراط في الطعام. وعلى مدى طويل، ولكنه قصير في عمر الإنسان، كان قد جمع السمنة المفرطة وتبعاتها التي لم توصله للنتيجة التي أرادها وعبر عنها، حتى أنهاها بالاختلاط غير المحمود مع مرضى الإيدز! حدث يكتب في أسطر، ويحكى بألم عن شكل انتحار يتخذ وجوهاً عديدة. كما أن أحد المحيطين به لاحظ أفعاله الانتقامية تجاه نفسه، وتغافل عنها، رغم أنه كان بالإمكان أن يساعد في انتشاله؟

ماذا لو كانت هذه الأسرة قد تعاملت معه بلطف مثل بقية أخوته؟ وماذا لو قام أحد بـ«الطبطبة»، حتى لو على سبيل المجاملة، وليس المشاركة؟ وهل لاحظ أحد علامات الاكتئاب، رغم عدم شكواه الظاهري من وضعه؟ وهل حقاً هناك علامات يجب أن نلاحظها في المقربين حولنا على الأقل؟ من الواضح أن أكثر ما ينبه إليه العرض، ببساطة فكرته، هو ضرورة الانتباه للصحة النفسية، ومشاركة الآخرين الهموم التي نراها كبيرة، وأيضاً لابد من ملاحظة أي علامة تصدر من المقربين –على الأقل– توحي بمشكلة تعبر عن يأس، أو تؤدي إلى القرار الأصعب في إنهاء الشخص حياته.

أن ننقذ ما يمكن إنقاذه، حتى لو كان صديقاً مفترضاً في وسائل التواصل، أو شخصاً عابراً ربما لن نلقاه مرة أخرى، أو ربما أحداً طرق الباب رغبة في البوح.. ربما هذه المرة التي نلتقط فيها هذا التصور، تكون الأخيرة.

رسائل مارسيل بروست

حياة كاملة بكل تفاصيلها

لا شكّ أنّ قارئي أصبح يعرف مدى عشقي لرسائل الأدباء، لكنّه حتما لا يعرف أني اكتشفت قيمة كل كاتب طُبِعت رسائله بشكل أفضل، بل أحيانا أقرأ الرّسائل قبل البحث عن نتاجه الأدبي، مثل بروست مثلا الذي لم يغريني ككاتب فرنسي كتب كتابا واحدا ضخما لا يشجّع على القراءة رغم شهرته، خاصّة لمن لديه انشغالات يومية كالتي تطوّقني وتحرمني من ممارسة هوايتي الأولى «القراءة».
وصلتني الطبعة الثانية من «رسائل مارسيل بروست» ترجمة ربيع صالح، إصدار دار الرافدين منذ فترة قصيرة، وقد كان رفيقي لعدة ليالي حتى أنهيته (٥٢٨ صفحة، مع ملحق صور بالأبيض والأسود زادت من جمالية الكتاب).

د.بروين حبيب

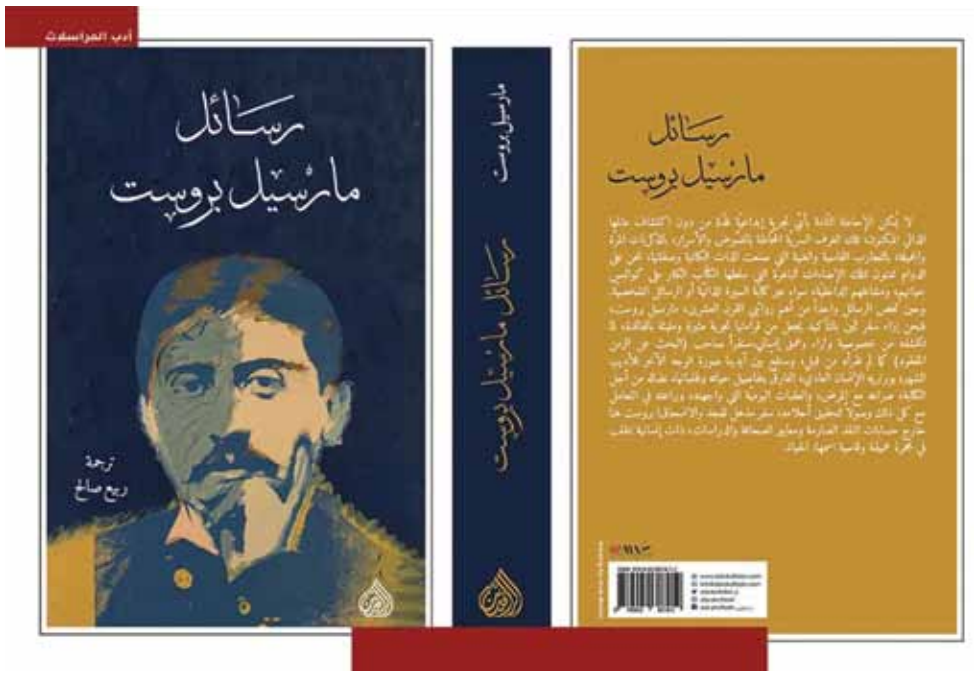

وقد أشار النّاشر في مقدمته أن بروست بدأ حياته كاتبا للمقالات ثم مترجما، وحين عكف على كتابة روايته الضخمة «الزمن الضائع» لم ترحب دور النّشر التي راسلها بطبعها بسبب طولها، وهذا يفسّر صعوبة تصنيف بروست وفق أدبه، فقد كان مدرسة فريدة من نوعها. ويخبرنا النّاشر بذلك على لسان الكاتب نفسه، حتى أنّه سجّل اعترافا الكاتب بأن أدبه يشبه "ثمرة الملفوف في تداخل أحداثها وتعقيد بنائها".

أمّا السّرُّ في تدفق هذه الرواية كالسيل على بروست فقد كان سرا صغيرا ولذيذا حين قضم قطعة مادلين مغموسة في الشاي، مرّ شريط حياته أمامه بكلّ تفاصيله، ولم يعد بإمكانه إيقافه. غمره السيل واستسلم له حتى موته، ولم يمنحه فرصة لتنقيح آخر ثلاثة أجزاء من روايته.

من خلال الرسائل سنفهم أنّ نفَس الكاتب طويل حتى في كتابة الرّسائل، وأنّه سبق زمنه في طرح بعض الأفكار الجريئة. يقول في إحدى رسائله إلى صديقه روبرت دريفوس في أوت/آب 1888: " كتبتُ مواضيع ليست عادية على الإطلاق، وكانت النتيجة أن دزينة من المعتوهين كتبوا بأسلوب غاية في الإسفاف. اعتبرني كوشيفال مؤثّرا ولكن سلبا لا إيجابا، فقد سبّبتُ الاضطراب في الفصل كلّه، بل إنّ العديد اعتبروني مدّعٍ وكذابَ".

أيضا نكتشف شخصا حسّاسا جدا، يهمُّه من يحبه ومن يكرهه، لئلاّ يدلق بعواطفه على قلوب لا تستحق مشاعره النّقية والصّادقة.

عزلة بروست لم يكن هذا سببها الوحيد، بل لأنّه أصيب بمرض الربو باكرا، وكان ذلك يتعبه خاصّة في فصل الشتاء الطويل. ثم إنّ ارتباطه بوالديه وخاصة والدته كان يجعله يلحقهما حيث يكونان، وبعد وفاتهما لم يعد لديه محفزٌ جيد للحياة والاختلاط بالناس.

في إحدى رسائله الموجهة للكونتيسة دي نويلز في السابع والعشرين من أيلول/سبتمبر 1905 يقول: "لقد توفيت لكنها أخذت حياتي ونفسي معها كما فعل والدي... لم ترغب في البقاء حية بعده إلا من أجلنا، بيد أنها لم تتمكن من ذلك". لم تغير والدته دينها فقد ظلّت على دينتها، وهذا يفسّر تسامح بروست مع كل الديانات، وحين توفيت والدته دفنت وفق الطقوس اليهودية، ودعا أصدقاءه المقربين إلى تقديم التعازي في البيت وليس في الكنيسة كما حدث مع والده.

عانى كاتبنا بعد وفاة أمه وانتابه الضعف ونوبات المرض، ومع هذا حافظ على رقي أخلاقه فكتب رسائل شكر لمن أرسل أكاليل للتعزية. ويبدو في كل رسالة حريصا على وصف حالته وأهمية من يكتب لهم.

لقد كانت رسائله دقيقة بحيث أحيت كل الأشباح الذين غادروا دون ترك منجز ما، فقد كان وجودهم في حياة بروست كافيا ليخلّدهم إلى الأبد.

وفي الكتاب تعريف مقتضب لكل شخص راسله إن توفّر، مثل السيدة كاتوس التي كانت صديقة لوالدته، وكانت تمارس التصميم والزّخرفة الدّاخليّة إلى جانب الاتّجار بالتحف والأنتيكات. إذ يبو أنها راسلته طالبة نصيحة ليختار لها كتابا تقرأه. فيردّ عليها برسالة مفصلة عن الكاتبة

بارترايد دو لو (720 – 783) مقدِّما ما يكفي لتشجيعها على قراءتها، ومع هذا يذيّل رسالته باعتذار رقيق لأنه متعب وغير قادر على كتابة المزيد عنها. نشعر كلّما قرأنا إسما جديدا من أسماء أصدقاء الكاتب بالزحام الذي حظي به من معارف، وأن عزلته في الحقيقة لم تكن كاملة بالمعنى الحقيقي، فقد كانوا حاضرين برسائلهم، وكان دائم التّواصل معهم. نستنتج ذلك خاصّة في الجزء الثاني من الكتاب (جزء بدون عنوان) والذي خُصِّص للسنوات العشر بين 1899 و1909 حيث عكف على ترجمة رسكن، ونشر ما كتبه من ترجمات ومقالات في جريدة الفيغارو. كما بدأ بكتابة روايته. فقد راسله وراسل أكثر من خمسة عشر شخصا من بينهم أمه، وضم هذا الجزء حوالي مئة صفحة.

لقد كان عليلا هذا واضح، وحزينا، ومنكسرا، مُفتقِدا الحب الذي وجده في حضن والديه مثل طفل، وحضن رجل أحبّه وظلّ خائفا ومتسترا عليه، ولكن في الوقت نفسه كان محاطا باهتمام من عرفهم وبنى معهم علاقات متينة، وكان يسعده تلقي الرسائل بشكل دائم منهم، بل حتى أولئك الذين اختلف معهم في بعض الأفكار أو حدث بينه وبينهم سوء فهم ما، فقد عرف كيف يعتذر منهم، ويبقي مسافة الاحترام بينهم إلى آخر أيام حياته، مثلما ورد في رسالته لكاستون كاليمارالذي وبّخه بسبب طريقته في المراجعة والتنقيح قائلا: "أرجو المعذرة، على الشّخص أن لا يبادر إلى توبيخ شخص آخر دون شرح الأسباب....لقد حاولت دوما أن أحافظ على الصّداقة التي بيننا...».

أي نعم لم يجد الدّعم الكافي لنشر روايته الضخمة، لكنّه اعتمد على نفسه، متّكئا على ثقته المفرطة بقلمه وأفكاره وأسلوبه فنشر العمل على نفقته الخاصّة. في الجزء الثالث من الكتاب والمعنون بطريق سوان والحرب (1909 - 1918).

فترة جد حسّاسة سبقت الحرب العالمية الأولى، وفقدان الكثير من الأصدقاء، غير الحرب التي شوّشت السكينة التي كان يصبو إليها. فقد فكّر في الزواج أول مرة في هذه الفترة العصيبة، فطلب النّصيحة من صديقه جورج دي لوريس: "...هل تعتقد أني سأرتكب جرما لو أني طلبت من فتاة رائعة أن تشاركني حياتي البشعة؟" وكان يقصد إبنة السيدة كيستون دي كالافيه، التي كتب لها مستعطفا ليغير زوجها موقفه منه. فبعض أفكاره كانت مرفوضة في زمنه، وهذا ما جعل البعض لا يحبونه. الجزء الثالث والأخير من الكتاب والمعنون بالشهرة والموت (1918 – 1922) ويكشف عن الأربع سنوات الأخيرة في حياة بروست وهي الأهم على الإطلاق، خاصة حين نال جائزة غونكور الشهيرة التي أعادت له الاعتبار وغيّرت من مجرى حياته كلها. فقد حطّت الحرب أوزارها، وصار يسرّع من وتيرة اشتغاله على روايته رغم مرضه كونه كان يشعر دائما بقرب الموت منه، أو لنقل أنه ترافق مع الموت مثل رفيق له، لهذا من عجائب ما حدث له أن الموت منحه متسعا من العمر لينهي روايته قبل أن يأخذه في رحلته الأبدية إلى ملكوت العالم الآخر.

كتب بروست الكثير عن قراءاته، وقرائه الذين لكثرتهم انتشروا في كامل أوروبا وبريطانيا وأمريكا وحتى الصين واليابان. منحنا خريطة واسعة وواضحة عن أدباء تأثّر بهم، ونقّاد صنعوا المشهد الأدبي في فرنسا آنذاك. كتب عن رؤيته للحياته، ورؤيته لنفسه بكل تواضع أحيانا وبثقة كبيرة أحيانا أخرى. كما ذكر مرضه اللعين الذي يوصله عدة مرات إلى بوّابة الموت ثم يمنحه فرصا لتجديد عقده مع الحياة.

رسائل بروست ليست رسائل شخصية فقط، بل شهادة على عصر كامل، عن طبيعة العلاقات بين الأدباء والنقاد والطبقة الارسطوقراطية والناشرين والفنانين والخياطين ومصممي الأزياء والمزارعين ومصممي الجنائن وغيرهم من أنواع البشر الذين تعامل معهم واستشارهم لإثراء روايته العظيمة "الزمن الضائع".

هذه رؤيتي المقتضبة للكتاب ولعلي إن قرأته مرة ثانية في فترة تركيز وهدوء لاكتشفت فيه أشياء جديدة. وهذه متعة التلصص على رسائل الأدباء لأن لا شاهد حقيقي على تاريخ البشرية غير الأدب ورسائل الأدباء.

«في الحب»

أحمد السعيد

لطالما ارتبط الحب بالرومانسية، وكأنه الحلم الذي يخلص الروح من مأساويتها، إلا أن حقيقته تتعلق بالجانب التراجيدي الذي يصيبها، تحديدًا كما عبّر عنه جميل بثينة: «ومن العجائب أن مقتول الهوى*أبدًا يحن إلى لقاء القاتلِ». أو في قول سقراط ضمن محاورة فايدروس: "إن المخدوش، وليس المغطى بالريش، هو ما يجب التحدث عنه حال الوقوع في الحب».

من هذا الموضع الذي يَجرح فيه الحب، ويُصيب الروح بالخدوش، من هذا الموضع وحده تولد القصيدة. إن كل جميل وجليل لا يمكن أن تمنحه الروح من دون جُرح يصيبها، وحتى العقل الراجح لا يمكن أن يُولد إلا مِن جُرحٍ يُخرجُه من العادي ومألوف إلى اللاعادي واللامألوف.

الوقوع في الحب، أو بالأحرى «وقوع الحب فيك» لا يجب أن يُتصور على أنه حل، بقدر ما هو معضلة، ولكنك في الوقت ذاته، غير قادر على الانفكاك، إذ أن الانجذاب الذي يحدث لا يجب أن يُتصور على أنه إرادي، فإذا كنت تريد أو لا تريد، وتعتقد أن لك الخيار في الدخول والخروج، فإن ما أنت فيه ليس حبًا: "الحب أعزك الله داء عياء وفيه الدواء، ومقام مستلذ، وعلة مشتهاة، لا يود سليمها البُرء منها، ولا يتمنى عليلها الإفاقة (ابن حزم، طوق الحمامة)».

يأتي الحب مثل نهر قد هُدَّ من سَد، ولا يمكنك بأي حال من الأحوال مقاومته، فالمقاومة تعني الألم، الذي يخلفه فعل السباحة ضد التيار؛ وإذا أمكننا تصور راء الحرب الزائدة على الحب فإنها ليست إلا راء الرائد للدخول في الميدان أو الوقوف متفرِّجًا، أما في الحب فإن الراء تسقط منك: إنك واقف ولكن غير مستقر، متحرك ولكن بلا إرادة، لا في دخولك ولا في خروجك.

في الحب أنت مجذوب، على وزن مفعول، أي أنت مفعول به، والفعل معروف، والفاعل ضمير مستتر. أما الانجذاب في ذاته، فيمكنني القول بأنه نابع من ذلك الجزء المجهول الذي يكشفه لك الحب عن ذاتك، وفي ذاتك، فالآخر – المحبوب – لا يكشف لك شيء، إنه وسيلة الله/القدر إليك للتعرف إلى نفسك. إنه ذاك الانجذاب عينه الذي قاد آدم وبشكل لاإرادي نحو الشجرة المحرمة، فعرف ما لا يجب أن يعرف، وانكشف له الغطاء.

إذا جاء الحب إليكم، خذوا آلامه ليعطيكم قصائده، وتقبلوا جرحه ليعطيكم لذاته، أما الأنا العليا فإنها أمامه لاشيء، سيكشف اللثام عنها، ويهتك الستر، لأنه لا يستأذنها، إنما يميط عنها، ويحرق السياج الذي أقامته حول الذات، يمزق الأنا وما فوقها. دعوه يفعل ذلك، وفي جميع الأحوال ما لكم من سلطان عليه غير أن تدعوه يفعل. لأنه النقطة ومركز دائرة الوجود، بدء كل الأشياء ومنتهاها.

قصة قصيرة

غَيمٌ كثِيف

جعفر الديري

التقت عيناه عينَي الرجل، فعرفه على الفور، مضى عشرون عاما، وذكره لم يزايل مُخيِّلته، والزمن كفيل حقًّا بمداواة الجِراح، لكنَّه لا يستطيع محو أثرِها في النفس.

تسَلَّم المبلغ منه، وقال:

– كيف أنت يا أستاذ؟

رفع الرجل رأسه، مُستطلعا:

– تعرفني؟

– بلى، لقد كنت رئيسي في العمل، ألا تتذكّرُني؟

وبدا الرجل كمن يزيل غيما كثيفا من ذاكرته، حتّى برزت الشمس وراء الغمام، فقال:

– آه، تذكّرتك.

غير أنَّ الغيم سُرعان ما حلَّ ثانية، وهذه المرَّة أشدَّ كثافة، إذ بدا الرجل يكابد ذكرى قديمة مزعجة، فقال محاولا الابتسام:

– أرجو أن لا تكون ساخطا عَليَّ لحد الآن؟

سارع للقول ثأرا لنفسه:

– أسخط عليك؟! ولماذ؟ إن طردك لي فتح لي أبوابا أخرى، أنا صاحب هذا المتجر.

– حقًّا؟!

قالها الرجل وعينيه تكادان تخرجان من حدقتيهما، وعلى رغمه راحتا تلتهمان كل شيء، البضائع والعمَّال والموظَّفين، ثمَّ حطَّتا على السُّلم الكبير، المفضي إلى الطابق الأول، المملوء عن آخره.

وكان يعلم بأمر المؤسسة، لكنَّه أراد الاستَمتاع قليلا، فسأله:

– ألا تزال في المؤسَّسة نفسها؟

وأجاب الرجل بتلعثم:

– تقاعدت، تعثَّرت المؤسسة ولم تصمد أمام تقلُّبات السوق، فاضطررت للتقاعد.

– ولم تجد عملا بعدها؟ لقد كنت أستاذا في مجالك.

غير أنَّ الحقيقة كانت غير ذلك، فهو لم يكن صاحب خبرة، مجرّد حظٍّ صعد به، كان عمُّه والد زوجه رئيس الموارد، وقد استغل ذلك أحسن استغلال فترقَّى بسرعة كبيرة، وكان قبل ذلك موظَّفا عاديا، فأراد الانتقام ممَّن كانوا زملاءه، وما زال يتذكّر كيف كان يعامل مرؤوسيه بترفُّع واحتقار، ولم يكن هو الوحيد الذي تسبَّب له بالأذيَّة، لكنه كان الوحيد الذي اعترض على مسلكه علنا فكان جزاؤه الطرد شرَّ طرده.

لقد خرج من العمل لا يعرف إلى أين يتَّجِه، ولم يكن عبثا أن يخبره أصحَابه أنُّهم احترموا حزنه ولم يبلِّغوه أنه كان يبدو وقتها كالمجنون، حائِرا لا يعلم من أين يطعِم أولادَ المُدلَّلين.

وسأله وقلبُه ما زال في تاريخِه القديم:

– ألا رغبة لك في الفرجة على المتجر؟

ردَّ الرجل بصوت واهن:

– شكرا جزيلا، في وقت آخر إن شاء الله.

وهم بالانصراف، فقال له:

– انتظر، هناك من يرغب بلقائك.

قال الرَّجل باهتمام:

– من يودُّ لقائي؟

ونادى:

– أم علي.

وجاءت امرأة في الأربعين، اختفت ابتسامتها حالمَا وقعت عيناها عليه، وحلَّ محلَّها غضب مكتوم.

قال:

– هل تعرَّفتِ على الأستاذ؟

ردَّت وهي تلوي فمَها استياءً:

– ومن لا يعرفه؟ لا أخال أحدا ينسى هذا الوجه.

قال مخاطبا الرجل:

– أم علي تعمل عندي الآن، مشرفة على العَاملات، إنَّها والحقُّ يقال نموذج مشرِّف للموظَّفات المتفانيات في العمل.

وكانت وخزة منه، إذ سبق لهذا الرجل أن اتهمَها بالتقصير في أداءِ عملها، ونقلها لقسم آخر، حيث اضطرَّت لتقديم استقالتها.

قال الرجل محاولا الهرب:

– أمر طيب، أتمنَّى لكما التوفيق.

وهمَّ بمفارق المكان، فسارع للقول:

– انتظر، أليست لديك رغبة في العمل؟ أحتاج مشرفا على العُمَّال في فرعي الجديد؟

وقبل أن يترك له فرصة الردّ، مدَّ يده ببطاقته وقال:

– ستجد فيها عنواني وأرقام هواتفي، اتصل بي متى رغبت في ذلك.

تسلَّم الرجل البطاقة، وابتسم رغما عنه، ومضى يتعثَّر في مشيته، وهو يلحظة بعينين مليئتين بالتَّشفي.

د. حسن مدن

الـــوحـــدة فـــي التّنـــوع

على هذا الكوكب مقادير هائلة من التنوع في الأقوام الثقافات والديانات التي عليها أن تقتسم العيش المشترك فوقه، واقتسام ثرواته، والتصرف بمسؤولية ليس فقط تجاه الحاضر، وإنما تجاه المستقبل أيضاً، لأن للأجيال القادمة الحق نفسه في العيش عليه والاستمتاع بالحياة فيه . لكن هذا الحق لم يصن أبداً . الأقوياء قهروا الضعفاء وأبادوهم، وشهد العالم حربين عالميتين أودتا بملايين البشر، هذا خلاف ضحايا الحروب الصغيرة والمجاعات والكوارث.

هل ثمة أمل بأن تبلغ البشرية مرحلة الرشد التي تجعلها تكف عن ثقافة الغابة التي ما زالت متأصلة في سلوكها الذي لم يتأنسن بعد كفاية رغم التطور المديد الذي قطعته، والشأو الحضاري الذي بلغته، والتقدم المهول في المعارف والعلوم والتقنيات ووسائل الاتصال، التي توظف هي ذاتها، في الكثير من الحالات، لإبقاء البشر ضمن شريعة الغاب، حتى لو جرى تقنين ذلك بنظم تشريعية، والتمويه عليه بما في الجُعب من "مكياجات"، متعددة الاستخدامات، جل ما تفعله إخفاء التشوهات لا التخلص منها .

"نحن ما فقدناه"! – هكذا أجابت سيدة أجنبية عن سؤال يقول: "مَن نحن"، وُجّه لأشخاص من ثقافات ولغات مختلفة، من نحو عشرين ثقافة او لغة، وأريد بهذا السؤال اختبار الحساسيات الثقافية والقومية وربما الدينية أيضاً تجاه الموضوع الذي جرى التعارف على تسميته ب"الهوية". كان جواب هذه المرأة هو الأكثر اختصاراً وتكثيفاً بين أجوبة المشاركين في الإجابة . امرأة أخرى أشارت إلى أن للأمريكيين بالذات مشكلة مع هويتهم، لأنهم بالدرجة الأولى سليلو مهاجرين قتلوا معظم السكان الأصليين، والحال، بما أنهم فقدوا معنى الوجود المرتبط بجذورهم في بلد أجدادهم، فإنهم يسعون إلى التماهي بما يملكونه مادياً .

على أن السؤال: "من نحنُ"، ليس سوى واحد من مجموعة أسئلة تتصل بمفاهيم حيوية كالعالم والبيئة والتوازن والقيم والمسؤولية والتضامن وسواها، جرى عرضها على هؤلاء بحثاً عن أجوبة مختلفة أو متشابهة، في إطار سعي فريق أطلق على نفسه مسمى "التحالف" بهدف التفتيش عن مشتركات ثقافية بين الشعوب، وإن أمكن خلق هذه المشتركات تحت السؤال المفصلي التالي: "هل يمكن قول ثقافة في لغة ثقافة أخرى"، أي هل يمكن للغة غير لغتنا الأم أن تحمل الشحنة الدلالية للفكرة التي نقولها في لغتنا، هل نكون على يقين من أن الآخر يتلقى في لغته ما أردنا قوله في لغتنا إذا ترجمنا له ما نقول، أم أن المفردات نفسها تحمل دلالات مختلفة وربما متناقضة بين لغة وأخرى، من أجل التأمل في طريقة تناول مسألة الاختلافات بين الحضارات، لا بين الثقافات الفرعية داخل الحضارة الواحدة، لبلوغ الفكرة الأثيرة القائلة إن البشرية تواجه الأسئلة الكبرى ذاتها، ولكن بتنويعات مختلفة، مما يقودنا، مرة أخرى، إلى الفكرة الأثيرة القائلة أن الوحدة في التنوع، وإن احترام تعدد وتنوع الثقافات هو طريق وحدة البشر، أما قهر الثقافات لتسييد ثقافة واحدة فهو ما تبرهن التجارب على أنه طريق مُدمّر .

في أي عمر تبدأ الكتابة؟

كان مؤلف الرواية البوليسية الشهيرة «السبات العميق» ريموند تشاندلر في الخمسين من عمره حين نشر الرواية التي لم يسبق له أن كتب سواها، ومع ذلك حققت تلك الرواية نجاحًا كبيرًا، وطُبعت عدة مرات، وحُوّلت أكثر من مرة إلى السينما، ومثله كان مؤلف رواية "رماد أنجيلا"، فرانك ماكورت، في أوائل الستينات من عمره حين وضع روايته تلك، لتجعل منه كاتبًا مشهورًا.

وهذان ليسا سوى مثالين على أشخاص، لم يسبق لهم أن عُرفوا ككتّاب، وولجوا عالم الكتابة متأخرين، بعد حياة أفنوها في العمل، وربما يكون بعضهم قد قضاها في اللهو، ثم تحوّلوا إلى الكتابة في أعمار متأخرة، فأنجزوا كتبًا، قد لا تتجاوز، في بعض الحالات، كتابًا واحدًا، ولكنهم حققوا من الصيت والمكانة ما أخفق كتّاب أفنوا أعمارهم في الكتابة في بلوغه.

قد تلعب المصادفات دورها في ذلك، فلعلّ الكتاب الذي نالوا بسببه الشهرة ليس متميزًا، لا في المحتوى ولا في تقنية الكتابة، لكن قد يكون العكس أيضًا، فلعلّ العمل الذي جلب لهم الشهرة، نتاج تجربة مديدة في الحياة تراكمت، وصار بوسعهم التعبير عنها، وقد يكونوا على موهبة لم يتيسر لها أن تفصح عن نفسها، بسبب أن الحياة أخذتهم، قبل ذلك، إلى مسارات أخرى، وارت هذه الموهبة في الظل، لكن لم توأدها، حتى حان وقت استيقظت فيه، وربما يصحّ على هؤلاء ما أورده غابرييل جارثيا ماركيز في سياق حديثٍ عن تجربته في الكتابة، فيه يقول إنه تعلّم من ارنست همنغواي الذي لا يعتبره بالمناسبة روائيا عظيما إنما كاتب قصة ممتاز، درسًا ثمينًا مفاده إن الكتابة السرديّة مثل جبل الجليد، يجب أن يدعمها الجزء غير المرئي، الذي يتلخص في كل الأفكار والدراسات والمواد التي تم جمعها

نجد من حولنا اليوم ظاهرة يتجه فيها الكثيرون إلى الكتابة متاخرين، لكن ليس جميعهم موهوبين، بل إن بعضهم، وبعد اخفاقات في ميادين أخرى في الحياة، يحسبون أن نشر الكتب، أيًا كان مستواها، سيكون جالبًا للشهرة، خاصة في ظل انعدام معايير النشر المهني، وتحوّله إلى تجارة: "ادفع وسننشر لك"، وليس مهمًا مصير ما طبع، طالما كان الناشر قد امّن أرباحه سلفًا.

وعلى هذا الطراز من "الكتّاب" أن يستمعوا إلى تتمة قول ماركيز في الحديث نفسه، الذي أفاد أنّه تعلّم شيئًا آخر من كاتب اسمه جوان بوش من الدومينكان سمعه يقول إنه يتعيّن على الكاتب أن يتعلم مهنة الكتابة – التقنيات، أسلوب البناء، التركيب المحكم والدقيق خلال فترة الشباب، لأن الكتّاب مثل الببغاوات لا يستطيعون أن يتعلموا الكلام عندما يصبحون كبارًا.

ح. م

أرض أمـــــي

سماء عيسى

كيف أصل أرض أمي البعيدة؟
الأرض التي ستحضن ألمي وموتي
كيف أعود إليها 0000؟
دون روح الطفل التي رحلت بها
دون الألم بأن لا تعود في المساء
غنمة أمي من السرح.

كيف أسلك درب العودة؟
دون أن أتبع مسالك القمر وموسيقى النجوم
دون أن يشرق في قلبي شعاع الحب
أغدو مثل طير بلله ماء المطر
يرتجف بحثا عن شمس الصحراء .

كيف أسمع نهيق الحمار
حامل أمتعة الغجر الراحلين في الأودية؟
كيف أسمع نعيب الغراب
على مداخل القرى
ينبئ بكارثة ما تحملها الريح من البحار ؟
أتحدث عن الزهرة
على باب البيت وهي تذوي
مثلما يذوب الزمن بي
ونغدو معا في اليباس وفي اليباب.

هي الأسرع في الرحيل
الأكثر جمالا وبراءة ونقاء
اختارها الملك
وأبقانا أذبل رويدا رويدا.

ذات يوم
سيطرق باب بيتي ملك
لا أراه ولا يحدثني
فقط يقتادني صامتا إلى الموت
لأرى الزهرة تنشر في الكون
عبقا وجمالا لا يضاهى .

أتحدث عن الزهرة
أتحدث عن الزهرة
عما يعود ولا يفنى
أتحدث
أنا الراحل دون عودة الى التراب .

ذكرى

التقيتها وهي صبية في جبال الجنوب الخضراء
في ذلك المساء الذي اختفت من ذاكرتي تفاصيله
بقي منه سمار لونها وعذوبة ابتسامتها
بقي مطر الجبال الناعم
يكسو قلبي بفراق قادم لا محال .

لن أراك ثانية
قلت وعيناها تبحلقان أسى وحزنا كشجرة يباب
ثمة غموض كسحب السماء المهاجرة
ثمة حنين إلى مياه الأودية الراحلة إلى البحار.

لربما أخذك الموت بعيدًا
لربما ابتسمت لك الحياة لاحقًا
والغزاة لربما فروا تاركين المدى والبغال
حين رؤوا جمال الحب الفائض هائما
هيام الأرواح الغائبة في غابات افريقيا .

يبقى الفراق الأبدي الموجع حتى العظم
لتلك الكائنات الشفيفة
عندما كريات الكوس الناعمة
عبرت الكون ورحلت.

إقـرار بـالقلـق

ماهر عباس

كانت تثير سخريتي، مفردات مثل «قلق»، «أرق»، «اكتئاب»..

طالما أضحكتني تهكُّمًا واستخفافا بأولئك (المساكين)، الذين يتكئون على مثل هذه المفردات، أجدها ترفًا لفظيًا، ولعلهم يتظاهرون بالقلق فيتمكن الحزن منهم، إمّا لفرط الدلال أو هشاشة الوعي ونعومة الشخصية (بزيادة حبتين).
كان ذلك عندما كُنتُ أظنني صلبا وحرًّا، محتشدًا بالقوة بعد أن صقلتني النوائب والشدائد، استصغر كل ما ليس عظيم وجلل من الأمور، أراها مجرد صغائر وتوافه في عيني، لم أكن أعلم أنَّها رماد غير مرئي، كان يُعبئ فراغات روحي ويردمها، ويغذي الترسبات التي سيرّويها الدمع لاحقًا.
ولم أكن أعلم ان المساحات النقية في داخلي سوف تتضاءل، حتى يتعذّر عليَّ استنشاق هواء نقيّ، يجدد خلايا الروح التي ما عادت تتحمّل خيانة مساماتها، والدماغ المكتنز بالهُلام وبعض الأنسجة المتليّفة، لأكتشف أن الاستنشاق يحتاج إلى سلام داخلي غادرني ذات يوم بعيد، وأن وفرة الأوكسجين أعجزُ من أن تمكنني من التنفس طالما كان ذلك التنفس برئة معطوبة!
وأن عروجي الجسدي للفضاءات لا يخرجني من قعر بئر الكآبة.
باتت الكلمة المضحكة يومًا ما، مبكية الآن.. هي الكلمة ذاتها لكن وقعها اختلف كليًّا، كلمة بتفسيرين.. ويختلف أثرها بحسب المتلقّي..
الكلمة نفسها بمعنيين مختلفين لا يشتركان إلّا في ملء القنوات الدمعية وهي التي تنفجر إمّا من شدة الحزن أو الضحك! -سيّان وشتّان-
المرادفات التي كانت مثار سخريتي تحوّلت إلى شظايا نافذة، أسمعها.. فأتلقاها كمعايرة ارتدت عليّ ! .
أعترف الآن معتذرًا نادمًا، بأنني أضعفُ من كل الذين الذين اعتبرتهم ظلمًا (مترفين مدللين) حينما اعتبرت نفسي بأنني الحرّ القوي،
لستُ كذلك ولم أكن يومًا، أنا المسكون بالقلق -القلق الذي لم يكن مرئيًّا- لم أعد حرًّا، فليس حرًّا من لا يستطيع السيطرة على ضعف نفسه.
وأقرّ بأن القلق والكآبة ليست مجرد "مفردات" تستدعي السخرية، بل هي أشد "الأمراض" فتكًا بالضعفاء مثلي، ولعمري كل الناس ضعفاء.

بتول حميد

عبــر نظــرة..

نحن اللواتي نجلي الصحون على صوت فيروز
ونفرد الحكايا على طاولة كيْ الملابس
ونبكي أمام مشهد سريع في فيلم..
ترهقنا التفاصيل الصغيرة
نجفف قلوبنا من دمعها ونتركها تغفو
لأننا ببساطة
ندرك أي ألم تدفعه اليقظة

***

لسبب ما
وأنا أتفحص أحد الفساتين على الفاترينا
ذهبت مسرعة لمحل العطور
وحملت قنينة عطرك

***

يقلقني أن أستغرق دقائق طويلة أكتب فيها إليك رسالة
يهتز فيها قلبي مرات عنيفة في الدقيقة الواحدة
بينما تقرأها أنت بصورة عقلية

***

تربكني رحابة مشهد لكبرياء عاشقة
تتظاهر بعدم الانتباه
وتعرف أن أحدهم يؤمن سلامها الداخلي عبر نظرة

***

يعرف الماكيير سلفاً
أن معظم النساء الماثلات أمامه
بخصلات الشعر المستعار
أهدابهن الطويلة
ودموعهن إثر العدسات اللاصقة
سيرقدن بعد أعوام طويلاً في الأدراج

***

تتعافى النساء حين يطوقها عناق..
أعرف امرأة ذابلة
بالكاد ترفع أصابعها
استكان قلبها على صدر حبيب
أزهرت
نبت لها جناحان
ورمت أصفاد حزنها للأبد..

التقدمي

التقدمي العدد 187 ـ يونيو 2023 السنة 21 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مذ أحببتك

سوسن دهنيم

ذبلت الأغنياتُ مذ افترقنا
لكن صوت الريح البعيدة
يشي بعطرٍ وقصيدة
***

في طفولتي كانت معلمة التربية البدنية تنهرني
كلما توقفتُ عن الركض
كبرتُ ومازلتُ أركض
ذات يوم سقطت شفتاي وأنا أقبلكَ راكضة
وذابت أصابعي حين مسحتُ دمعةً من قلبك
***

كنتُ أجمع لحظات السعادة وأدّخر بعضها في جيب معطفي
كما يفعل طفلٌ بسكاكر العيد،
ثم أغلق الخزانة سريعاً؛ كي لا ينتبه إليه أحد
وعندما شاب قلبي حزنا، قصدته
فانتبهتُ بأنه كان مثقوباً كذاكرة كهل
***

سأنسج شمساً جديدةً من عروقي،
كلّما عصف الظلام
لن أنحني للعتمة أبداً
ففي القلب عطرٌ من الجنة.

***
في صوتكَ رقصة موجٍ
وعطرُ ياسمين،
دعني أروي ابتسامتي كلما ناديتَ اسمي
***

المكانُ الذي هجرناه
يبحث عن صمتنا اللاذع حين تلتقي أعيننا وجلةً
من مسافة قادمة
لكنه يتزينَ ببقايا حضن.. وقبلة
***

كقلب منقوش على جذع شجرة منسية
أتذكرك
***

ولأنني لا أحب الآفلين
كفرت بقلبك
***

كسلاح قد تطيش طلقاته بغتة
أنظفُ قلبي بحذر
وأخبئه بعيدا عن يديك
لكن نبضي يخونني

***

مذ أحببتك
والشمس والمطر ملتقيان في قلبي
ومن عينيّ.. يشرق قوس قزح
***

نظراتكَ تراقص صوتي وأنا أنطقُ باسمكَ فأتلعثم
ينتبه المارةُ من بين الحروف المتناثرة
يصيبهم مسٌ من العشق فينتصر الحب
***

أعدْ إلي صوتي؛
نسيته على شفتيكَ ذات قبلةٍ لم تكتمل
***

أَعدْ النار..
لمَ يبقَ لأحد منها شررٌ، منذ احتطبتَ جسدي دفئاً

***
أَعدْ السماء..
لمَ تعد هناك؛ مذ أصبحت ملامحكَ سمائي ذات عناق..

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي
ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com